سلسلة سندات البوابة، رقم 6

النمو الوجداني والاجتماعي

فالون وإريكسون ونظرية التعلق



سند علمي: مادة دراسية للطالب والمختص

إعداد د. فريد بوقريرس

12 محورا · 10 أشكال · 9 جداول · مسرد بالعربية والفرنسية والإنجليزية

بوابة الصحة النفسية

psyencharge.com

بيانات السند

- **السلسلة:** سندات البوابة، رقم 6.
- **الإصدار:** الطبعة الأولى، ديسمبر 2026.
- **إعداد:** د. فريد بوقريرس.
- **النشر:** بوابة الصحة النفسية (psyencharge.com). صفحة السندات:

https://psyencharge.com/sanadat/

- **الجمهور:** طلبة علم النفس وعلوم التربية في الليسانس، في مقاييس علم نفس النمو وعلم نفس الطفل والمراهق، والمربون والأخصائيون المبتدئون، والقارئ المهتم.
- **المراجع الأساسية:** «التطور النفسي للطفل» لفالون مع مقدمة Jalley، و«الطفولة والمجتمع» لإريكسون، والمجلدان الأول والثاني من ثلاثية بولبي «التعلق والفقدان»، و«أنماط التعلق» لأينسورث وزملائها، ومعها كتب Miller وCrain وRicaud وزميلتيها، وكتاب قنطار «الأمومة». وكل معلومة منسوبة إلى مرجعها بالصفحة في آخر كل محور، والقائمة الكاملة وما غاب أصله عن المكتبة في آخر السند.
- **تنبيه:** هذا السند للدراسة والفهم. لا يغني عن التكوين الجامعي والتطبيقي، ولا عن المختص. ولا يُستعمل لتشخيص طفل أو راشد بنمط تعلق أو باضطراب.
- **حقوق:** يُسمح بطبع السند وتداوله للدراسة مع ذكر مصدره. ولا يُسمح ببيعه.

الفهرس

بيانات السند 2

كيف تستعمل هذا السند 7

1. المدخل: ما النمو الوجداني والاجتماعي، ولماذا يُدرس، وخريطة السند 8

أبعاد ثلاثة لنمو واحد 8

صواب أم خطأ؟ 9

لماذا الوجدان والعلاقة؟ 9

حدود السند 9

خريطة السند 10

2. فالون: الرجل والمنهج وقوانين النمو 12

من هو هنري فالون؟ 12

الطفل ليس راشدا صغيرا 12

المنهج المقارن 13

العامل البيولوجي والعامل الاجتماعي 14

الصراع والأزمة 14

قوانين النمو الثلاثة 15

ومن النقد 16

3. فالون: المراحل والأزمات 19

المرحلة عند فالون 19

كم مرحلة؟ ولماذا تختلف الأعمار؟ 20

1. الاندفاعية الحركية 21

2. الانفعالية 21

3. الحسية الحركية والإسقاطية 21

4. الشخصانية: أزمة المعارضة ثم سن النعمة ثم تقليد الأدوار 22

5. الفئوية 23

6. البلوغ والمراهقة 23

ومن النقد 24

بوابة الصحة النفسية psyencharge.com

4. فالون: الانفعال والتوتر العضلي والتقليد، والجدل مع بياجيه 26
من التوتر العضلي إلى الانفعال 26
الانفعال أول لغة 26
الانفعال والعاطفة والهوى 27
التعارض بين الانفعال والتمثيل 28
الفعل الحركي والنمو النفسي الحركي 28
التقليد 28
الجدل مع بياجيه 30
5. إريكسون: من فرويد إلى المبدأ التخلقي 33
الرجل الذي سمّى نفسه 33
من فرويد إلى إريكسون 33
ثلاث عمليات في حياة واحدة 34
المبدأ التخلقي 34
الأزمة منعطف لا كارثة 36
منهج إريكسون 36
6. إريكسون: المراحل الثماني ونقدها 38
نظرة عامة 38
المرحلة 1: الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة 39
المرحلة 2: الاستقلالية مقابل الخجل والشك 40
المرحلة 3: المبادأة مقابل الشعور بالذنب 40
المرحلة 4: الاجتهاد مقابل الشعور بالنقص 40
المراحل 5 إلى 8 باختصار 41
الفضائل: من أين جاءت؟ 41
نقد النظرية 42
7. الهوية في المراهقة: إريكسون ومارشا 45
هوية الأنا عند إريكسون 45
أزمة الهوية ومن أين جاءت 46
الهوية مقابل تشتت الدور 46

المهلة النفسية الاجتماعية 46
حالات الهوية الأربع عند مارشا 47
ما تقوله البحوث 48
8. بولبي: الأصول الإيثولوجية ونظام التعلق ومراحله 50
من الحرمان إلى سؤال «كيف؟» 50
البصم: ما يصح وما لا يصح 51
نقد نظرية الدافع الثانوي 51
الوظيفة: الحماية 52
التعلق وسلوك التعلق 52
نظام الضبط والقاعدة الآمنة 52
مراحل نمو التعلق الأربع 54
الخوف من الغريب، ونقد بولبي لـSpitz 55
ومن النقد 56
9. أينسورث: الموقف الغريب وأنماط التعلق 58
من البيت إلى المختبر 58
الحلقات الثماني 58
الأنماط الثلاثة الأصلية 60
النمط الرابع: غير المنظم 61
النمط وحساسية الأم في البيت 62
حدود الإجراء 63
10. التعلق عبر العمر: النماذج العاملة، والراشد، وتعدد صور التعلق 65
النماذج العاملة الداخلية 65
الاستقرار والتغير 65
في الطفولة المتوسطة والمراهقة 66
التعلق عند الراشد 66
الانتقال بين الأجيال 67
تعدد صور التعلق 68
11. الانفصال والحرمان واضطرابا التعلق 70

بوابة الصحة النفسية
psyencharge.com

الاحتجاج، ثم اليأس، ثم الانفصال العاطفي 70
ما يخفف الانفصال 71
الحرمان والتعلق القلق 72
اضطرابا التعلق 72
التشخيص الفارقي 74
الصمود 74
12. المقارنة والتركيب والتطبيق 76
ثلاث نظريات وسؤال واحد 76
في القسم والروضة 77
في الأسرة 78
في العيادة 78
أخطاء شائعة عند الطلبة 80
مسرد المصطلحات 82
المراجع 89
النصوص الأصلية 89
الدلائل التشخيصية 90
الكتب الجامعية والموسوعات 90
المراجع العربية 91
ما نُقل عن وسيط 92
ما غاب عن المكتبة 92
روابط للتعمق 94

بوابة الصحة النفسية
psyencharge.com

كيف تستعمل هذا السند

- اقرأ المدخل أولا، فهو يعرّف المجال ويرسم خريطة المحاور الاثني عشر في شكل واحد. ثم اقرأ المحاور بترتيبها: فالون، ثم إريكسون والهوية، ثم نظرية التعلق.
- في أول كل محور أهدافه، وفي آخره مفاهيمه المفتاحية وخلاصته ومصادره بالصفحات. راجع هذه الثلاثة قبل الامتحان.
- يفصل السند دائما بين ما قاله صاحب النظرية، وما جاء بعده، والنقد. والمحور 12 يجمع النظريات في جدول واحد، وبعده الأخطاء الشائعة ومسرد المصطلحات.

بوابة الصحة النفسية
psyencharge.com

1. المدخل: ما النمو الوجداني والاجتماعي، ولماذا يُدرس، وخريطة السند

ما ستعرفه في هذا المحور:

- معنى النمو الوجداني والنمو الاجتماعي، وكيف يختلفان عن النمو المعرفي.
- جواب سؤال الامتحان: «يقصد بالنمو الانفعالي والاجتماعي التغير في طريقة تفكيرنا وفهمنا: صواب أم خطأ؟».
- لماذا جعل فالون وإريكسون وبولبي الوجدان والعلاقة في قلب النمو.
- خريطة السند، والخط الزمني للنظريات الثلاث.

أبعاد ثلاثة لنمو واحد

يقسم علماء النفس نمو الطفل إلى أبعاد ليسهل درسه. تذكر Papalia وMartorell ثلاثة: النمو الجسدي، والنمو المعرفي (développement cognitif / cognitive development)، والنمو الوجداني والاجتماعي (développement socio-affectif / socioemotional development)، ويقال أيضا: النمو الانفعالي والاجتماعي، والنمو العاطفي. وتنبهان إلى أن هذا التقسيم للفهم فقط، فالأبعاد لا تنفصل في الواقع، وكل واحد منها يؤثر في الآخر (Papalia وMartorell، 2018، ص 6).

النمو المعرفي هو نمو القدرات الذهنية: الإدراك، والتعلم، والذاكرة، واللغة، والاستدلال، والإبداع (Papalia وMartorell، 2018، ص 7). أما البعد الثالث فشقان:

- **النمو الوجداني** (développement affectif / emotional development)، ويقال أيضا: النمو الانفعالي. هو نمو الانفعالات والحياة الوجدانية، وظهور مفهوم الذات ونموه، ونمو الشخصية.
- **النمو الاجتماعي** (développement social / social development). هو نمو تفاعل الفرد مع غيره ومع المجتمع، مثل علاقة الطفل بأسرته وبزملاء قسمه (Papalia وMartorell، 2018، ص 7).

وفي الشق الأول كلمتان لا تختلطان. الانفعال (émotion / emotion) حالة عابرة لها مظهر في الجسد، مثل الخوف والغضب والفرح. والوجدان (affectivité / affect)، ويقال أيضا: الحياة الوجدانية، مجال أوسع يضم الانفعالات والعواطف والأهواء. ويقول فالون إن الانفعالات هي ما يظهر في الخارج من الوجدان (Wallon، 1941، الفصل IX).

صواب أم خطأ؟

يتكرر في الامتحانات هذا السؤال: «يقصد بالنمو الانفعالي والاجتماعي التغير والتطور في طريقة تفكيرنا وفهمنا». **الجواب: خطأ**. التغير في طريقة التفكير والفهم هو تعريف النمو المعرفي. أما النمو الانفعالي والاجتماعي فهو تغير الانفعالات والوجدان وصورة الذات والشخصية، وتغير علاقة الفرد بالآخرين وبالمجتمع (Papalia وMartorell، 2018، ص 7).

لكن الخطأ لا يعني القطيعة. فالانفعال نفسه تقدير سريع لمعنى الموقف الاجتماعي يهيئ الفرد للفعل: الخوف يدفع إلى الهرب، والفرح إلى الاقتراب من الآخر (Clément وDemont، 2021، ص 147). والقلق قد يفسد أداء التلميذ في الامتحان، والعلاقة الآمنة بالوالدين تؤثر في صحة الطفل الجسدية والنفسية (Papalia وMartorell، 2018، ص 8). فالأبعاد مختلفة في التعريف، متشابكة في الحياة.

لماذا الوجدان والعلاقة؟

تلخص Miller أسئلة كبرى تجيب عنها كل نظرية في النمو. منها: هل النمو تغير في الكم أم في النوع؟ ومنها: ما الذي ينمو أصلا؟ والتغير النوعي عندها يقود إلى القول بمراحل، لأن الانتقال من مرحلة إلى أخرى تغير في البنية لا في المقدار (Miller، 2016، ص 14 و18 و22).

ونظريات النمو المعرفي في السند 1 أجابت عن سؤال «ما الذي ينمو؟» بالبنى المعرفية. وهذا السند يعرض ثلاث إجابات أخرى. فالون يرى أن ما ينمو هو الشخص كله، وأن الانفعال أول رابط بين الطفل والناس (المحاور 2 إلى 4). وإريكسون يتتبع الأنا في علاقتها بالمجتمع عبر العمر كله (المحاور 5 إلى 7). وبولبي وأينسورث يدرسان رابطة الطفل بمن يرعاه، وكيف تصير نموذجا لعلاقاته اللاحقة (المحاور 8 إلى 11).

حدود السند

مراحل بياجيه في السند 1، ولا يُذكر بياجيه هنا إلا في جدله مع فالون. ومراحل فرويد الليبيدية في السند 4. والحداد عند الراشد غائب، لأن المجلد الثالث من ثلاثية بولبي ليس في مكتبتنا. والصدمة والإهمال لا يُذكر منهما إلا ما يخص اضطرابي التعلق في المحور 11.

خريطة السند

يسير السند من المدخل إلى فالون، ثم إلى إريكسون والهوية، ثم إلى نظرية التعلق، وينتهي بالمقارنة والتطبيق.



شكل 1: خريطة السند



شكل 2: خط زمني للنظريات الثلاث

مفاهيم مفتاحية

- **النمو الوجداني والاجتماعي** (développement socio-affectif / socioemotional development): تغير الانفعالات والوجدان والشخصية، وتغير علاقة الفرد بالآخرين وبالمجتمع.
- **النمو الوجداني** (développement affectif / emotional development): نمو الانفعالات والحياة الوجدانية ومفهوم الذات والشخصية.
- **النمو الاجتماعي** (développement social / social development): نمو تفاعل الفرد مع غيره ومع المجتمع.
- **النمو المعرفي** (développement cognitif / cognitive development): نمو الإدراك والتعلم والذاكرة واللغة والاستدلال.
- **الانفعال** (émotion / emotion): حالة عابرة لها مظهر جسدي، وهي ما يظهر من الوجدان.
- **الوجدان** (affectivité / affect): المجال الذي يضم الانفعالات والعواطف والأهواء.

خلاصة المحور:

النمو الوجداني والاجتماعي بعد من أبعاد النمو الثلاثة، إلى جانب الجسدي والمعرفي. شقه الأول نمو الانفعالات والوجدان وصورة الذات والشخصية، وشقه الثاني نمو العلاقة بالآخرين وبالمجتمع. لذلك من الخطأ تعريفه بتغير التفكير والفهم، فذلك تعريف النمو المعرفي. ويدرس هذا السند ثلاث نظريات جعلت الوجدان والعلاقة محرك النمو: فالون، وإريكسون، ونظرية التعلق عند بولبي وأينسورث.

مصادر هذا المحور: Papalia و Martorell، 2018، ص 6-8؛ Clément و Demont، 2021، ص 147؛ Miller، 2016، ص 14 و18 و22؛ Wallon، 1941، الفصل IX.

للتعمق في الموقع: «السند 1: نظريات النمو المعرفي» https://psyencharge.com/sanadat/نظريات-النمو-المعرفي-pdf/ و«تاريخ علم النفس النمو» https://psyencharge.com/تاريخ-علم-النفس-النمو/ و«النمو العاطفي والمعرفي للطفل» https://psyencharge.com/النمو-العاطفي-والمعرفي-للطفل/

2. فالون: الرجل والمنهج وقوانين النمو

ما ستعرفه في هذا المحور:

- من هو هنري فالون، ولماذا نعتمد كتابه الصادر سنة 1941.
- لماذا يدرس فالون الطفل كلا واحدا، ويقارنه بالراشد والمريض والحيوان.
- كيف يتشابك العامل البيولوجي والعامل الاجتماعي في النمو.
- الصراع والأزمة محرك الانتقال بين المراحل.
- قوانين النمو الثلاثة: التناوب الوظيفي، والغلبة الوظيفية، والإدماج الوظيفي.

من هو هنري فالون؟

هنري فالون (Henri Wallon)، ويكتبه بعضهم: والون، فرنسي جمع الفلسفة والطب (1879–1962). يعده Jalley، مع بياجيه، مؤسسَ علم نفس الطفل باللغة الفرنسية (Jalley، 2012، المقدمة). تعلم علم نفس الطفل في العيادة: أكثر من عشرين سنة مع أطفال متأخرين ذهنيا ومضطربين حركيا، ومنها خرجت أطروحته «الطفل المضطرب» (1925). ثم صار أستاذا في الكوليج دو فرانس، وأعد مع Paul Langevin مشروعا لإصلاح التعليم لم يطبق (Ricaud وآخرون، 2019، ص 27–28). وتفاصيل سيرته في صفحته بين أعلام الموقع.

أما كتابه «التطور النفسي للطفل» (1941) فيراه Jalley العرض الكامل لنظريته وأصعب كتبه، لأنه يحاور بياجيه وفرويد وغيرهما دون أن يسميهم (Jalley، 2012، المقدمة).

الطفل ليس راشدا صغيرا

يبدأ فالون كتابه بتحذير. الراشد يميل إلى أن يرى الطفل على صورته، وإذا اعترف بالفرق جعله طرحا: الطفل راشد ناقص بعض القدرات. وقد يكون الطرح كميا كما في الاختبارات، أو مراحل يضيف كل منها قدرات جديدة، وهو عند فالون جمع كمي أيضا (Wallon، 1941، الفصل I). ويرى Jalley أن المقصود بالنوع الثاني نظرية بياجيه، وإن لم يسمه فالون (Jalley، 2012، المقدمة).

والبديل عند فالون أن ننطلق من الطفل نفسه، ونأخذ كل مرحلة في كليتها. عندئذ يبدو التعاقب منقطعا: الانتقال إعادة بناء لا توسيع، وما كان غالبا في مرحلة يتراجع في التي تليها. ثم يقلب المعادلة: «إن كان الراشد يتجاوز الطفل، فالطفل بطريقته يتجاوز الراشد» (Wallon، 1941، الفصل I).

وهذا ما يسميه فالون وجهة النظر التكوينية النفسية (Wallon، 1941، التمهيد). والمقاربة التكوينية (approche génétique / genetic approach) أن تُدرس كل وظيفة من نشأتها وتحولاتها، لا من صورتها عند الراشد.

المنهج المقارن

لا يكفي عند فالون أن نلاحظ الطفل السوي. فالمنهج المقارن (méthode comparative / comparative method) يضع الطفل أمام غيره ليكشف ما لا يُرى فيه مباشرة (Wallon، 1941، التمهيد):

- **الطفل والراشد، والطفل ونفسه في أعمار مختلفة:** لمعرفة ترتيب المراحل.
- **الطفل السوي والطفل المريض:** المرض قد يثبت السلوك في مرحلة ناقصة، فيكشف ما يخفيه النمو السوي (Jalley، 2012، المقدمة).
- **الطفل والقرد:** متى يتشابه سلوكهما أمام الموقف نفسه، ومتى يفترقان.
- **الطفل و«البدائي»:** يقر فالون بأنها أكثر المقارنات قابلية للطعن.

ومثال الطريقة الثانية عنده أن توقف النمو يُظهر المرحلة صافية. فأفعال الطفل الذي توقف نموه تبلغ كلها السقف نفسه، وقد تصل إلى «كمال شكلي» هو نذير سوء: وظيفة تدور على نفسها لأنها لم تندمج في ما بعدها (Wallon، 1941، الفصل VIII).

وفي المقارنة الأخيرة يضع حدا واضحا. الطفل أمام تقنيات موجودة لا يعرف بعد استعمالها، و«البدائي» تنقصه هذه التقنيات أصلا. فلا يُستخلص من التشابه أن الطفل يعيد ماضي البشرية، ولا يُخلط بين مستوى المنطق وقوة الفكر (Wallon، 1941، الفصل III).

العامل البيولوجي والعامل الاجتماعي

يقول فالون إن العوامل البيولوجية والاجتماعية تتواجه في الطفل ويقتضي بعضها بعضا (Wallon، 1941، الفصل III).

العامل البيولوجي هو النضج (maturation). العضو يسبق الوظيفة. فالخلايا العصبية موجودة كلها عند الولادة، لكن كثيرا منها يبقى نائما حتى تكتمل الأغلفة حول أليافها. ويستشهد بتجربة Gesell على توأمين متطابقين: دُرّب الأول على صعود الدرج في الأسبوع 46، والثاني في الأسبوع 53، فلحق الثاني بأخيه في أسبوعين. فالسن هنا أقوى من التمرين. لكن التعلم يصير أساسيا في الأنشطة غير الطبيعية، التي لا تظهر إلا بظروف خاصة (Wallon، 1941، الفصل III).

العامل الاجتماعي يأتي من ضعف الإنسان عند ولادته. الصغير البشري يبقى شهورا وسنوات لا يحقق رغبة إلا بواسطة غيره. فأول أدواته ما يحرك به الناس: صراخه، وحركاته، وقراءته لما يبدو على وجوههم. ولذلك تسبق وظائف التعبير وظائف الإنجاز بكثير، وهي أول ما يطبع الإنسان، «الحيوان الاجتماعي في جوهره» (Wallon، 1941، الفصل III). وتنقل CEMEA عنه عبارة أقوى: الطفل كائن اجتماعي منذ ولادته، بل «اجتماعي وراثيا» (CEMEA، د. ت.، ص 40)، ويقال أيضا: اجتماعي بطبعه. والعبارة لا ترد في كتاب 1941.

هذا جواب من يسأل عن «نظرية النمو الاجتماعي لوالون». الاجتماعي عنده ليس مرحلة تأتي بعد نضج الفرد. هو حاضر من الأيام الأولى، يمر أولا عبر الانفعال، وموضوعه المحور 4.

الصراع والأزمة

النمو عند فالون لا يسير في خط مستقيم. فالصراعات تتخلل النمو، كأن على الطفل أن يختار بين نمط قديم من النشاط ونمط جديد. والنمط الذي يخضع للآخر يتحول، ويفقد قدرته على قيادة السلوك وحده. وطريقة حل الصراع ليست واحدة عند الجميع، وهي تترك أثرها في كل فرد (Wallon، 1941، الفصل I).

بعض الصراعات حلها النوع البشري، فيحلها كل فرد بمجرد نموه، وبعضها يحله الفرد بنفسه. وصراع منها لا يُحل أبدا حلا تاما: الصراع بين الانفعال والنشاط العقلي (Wallon، 1941، الفصل I). والأزمة (crise / crisis)

هي اللحظة التي يحتد فيها الصراع فيظهر في السلوك. وتسميها Ricaud وزميلتاها «ثورات نوعية»، وتجعل الصراع الصورة الملموسة للأزمة (Ricaud وآخرون، 2019، ص 30–31). وأكبر أزمتين عند فالون أزمة المعارضة في الثالثة وأزمة البلوغ (Wallon، 1941، الفصل VII).

قوانين النمو الثلاثة

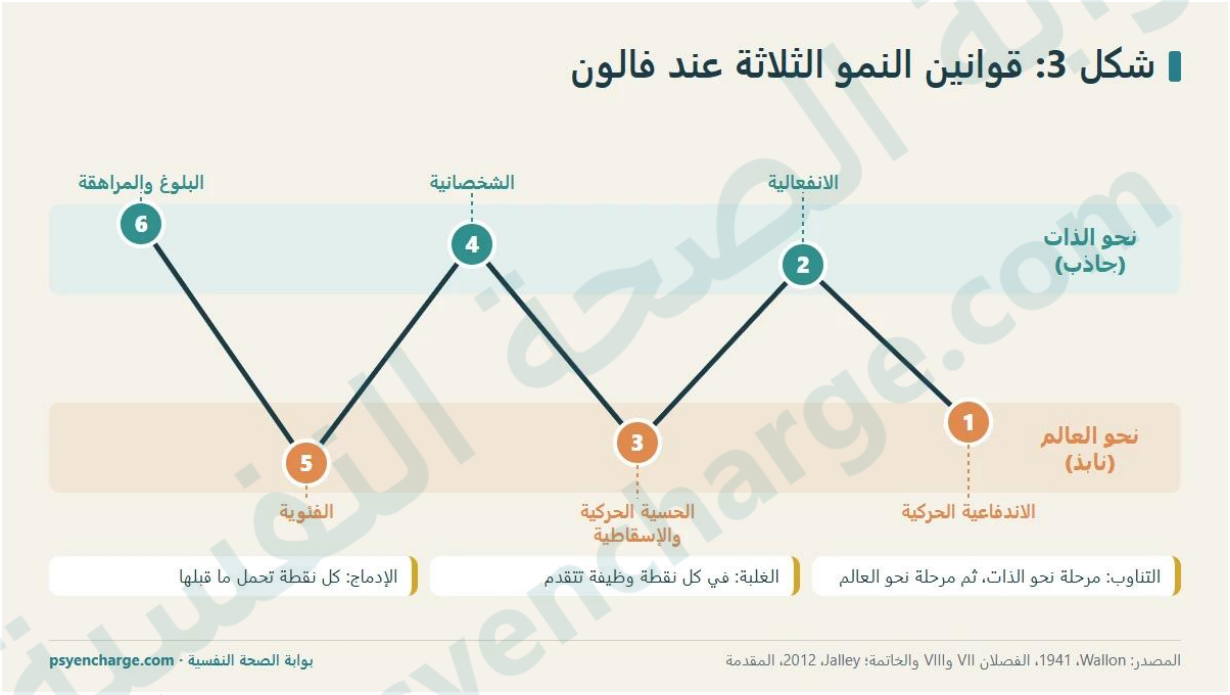
1. **التناوب الوظيفي** (alternance fonctionnelle / functional alternation). النمو عنده مد وجزر، لا جمع لمكاسب تسير دائما في الاتجاه نفسه. تتعاقب مراحل يتجه فيها النشاط إلى بناء الطفل نفسه، ومراحل يتجه فيها إلى العالم الخارجي (Wallon، 1941، الفصل VII). الأولى ذات اتجاه جاذب نحو الذات (centripète / centripetal)، ويقال أيضا: المرحلة الجاذبة. والثانية ذات اتجاه نابذ نحو العالم (centrifuge / centrifugal)، ويقال أيضا: المرحلة النابذة.

والتناوب يعمل في كل مستوى: عند الرضيع بين النوم والجوع، وفي التقليد بين امتصاص النموذج وتنفيذه (Wallon، 1941، الفصل VII). وفي المراحل الكبرى يجعل Jalley المراحل الجاذبة وجدانية: الانفعالية، والشخصانية، والمراهقة. ويجعل المراحل النابذة عقلية: الاندفاعية الحركية، والحسية الحركية والإسقاطية، والفئوية (Jalley، 2012، المقدمة). ولا يعود الطفل إلى نقطة البداية، فالحركة حلزونية لا رقاص ساعة (Ricaud وآخرون، 2019، ص 31 و81).

2. **الغلبة الوظيفية** (prédominance fonctionnelle / functional predominance)، ويقال أيضا: السلوك المهيمن. يقسم فالون الحياة النفسية إلى أربعة مجالات وظيفية: الوجدان، والفعل الحركي، والمعرفة، والشخص. ويقول إن بينها «تعاقبا في الغلبة»، ولكل فترة طابعها (Wallon، 1941، الفصل VIII). فالسلوك المهيمن عند فالون هو الوظيفة التي تتقدم على غيرها في مرحلة ما، فتطبع سلوك الطفل كله بطابعها، دون أن تلغي الوظائف الأخرى. الانفعال في السنة الأولى، والفعل الحركي من سنة إلى ثلاث، والشخص من ثلاث إلى ست، والمعرفة في سن المدرسة. (والصيغة الفرنسية عند CEMEA: «loi de succession de prépondérance»، CEMEA، د. ت.، ص 34).

3. **الإدماج الوظيفي** (intégration fonctionnelle / functional integration). الجديد لا يمحو القديم. يقول فالون إن الشكل الجديد يخرج من الأشكال السابقة ولا يلغيها، لكنه يأتي بنمط أعلى من الضبط ينظمها ويوجهها (Wallon، 1941، الخاتمة). ويقول في موضع آخر: «لا شيء يُهدم مما يُترك، ولا شيء يبقى بلا أثر مما يُتجاوز» (Wallon، 1941، الفصل I).

للتوضيح: هدى في السادسة. لم يختف الانفعال عندها، لكنه صار تحت سلطة الكلام والتفكير، فتقول لأخيها «أخذتَ قلمي» بدل أن تصرخ. فإذا تعبت أو خافت، عاد الانفعال فغلب. هذا هو الإدماج الوظيفي: القديم حاضر ومنظم، ويظهر حين يضعف الجديد.



شكل 3: قوانين النمو الثلاثة عند فالون

ومن النقد

تقول Ricaud وزميلتاها إن فكر فالون تأثر كثيرا بالمادية الجدلية، وإنه تبنى مبادئها كما صاغها ماركس وإنجلز (Ricaud وآخرون، 2019، ص 29). ويعارض Jalley هذه القراءة. فكلمة «الجدلية» تكاد تغيب عن كتب فالون، ونموذجه أقرب إلى الفلسفة الألمانية من كانط إلى هيجل، وتصوره للنمو استقر قبل أن يلتقي بالحزب

الشيوعي بنحو عشرين سنة (Jalley، 2012، المقدمة). والأسلم للطالب أن يقول إن فالون جدلي بالمعنى الذي يعطيه هو للكلمة: نمو يتقدم بالتعارض والإدماج. أما رده إلى الماركسية فموضع خلاف.

مفاهيم مفتاحية

- **المقاربة التكوينية** (approche génétique / genetic approach): دراسة كل وظيفة من نشأتها وتحولاتها.
- **المنهج المقارن** (méthode comparative / comparative method): مقارنة الطفل بالراشد والمريض والحيوان لكشف شروط النمو.
- **النضج** (maturation): نمو الأعضاء الذي يجعل الوظيفة ممكنة، وهو العامل البيولوجي.
- **الأزمة** (crise / crisis): لحظة يحتد فيها الصراع بين القديم والجديد فيظهر في السلوك.
- **التناوب الوظيفي** (alternance fonctionnelle / functional alternation): تعاقب مراحل جاذبة نحو بناء الذات ومراحل نابذة نحو العالم.
- **الغلبة الوظيفية** (prédominance fonctionnelle / functional predominance): تقدم وظيفة واحدة في كل مرحلة دون إلغاء غيرها.
- **الإدماج الوظيفي** (intégration fonctionnelle / functional integration): احتفاظ الجديد بالقديم وإعادة تنظيمه.

خلاصة المحور:

هنري فالون طبيب وفيلسوف تعلم علم نفس الطفل من عيادة الأطفال المضطربين. يرفض أن يُرى الطفل راشدا ناقصا، ويدرسه كلا واحدا بالمقارنة مع الراشد والمريض والحيوان. والإنسان عنده اجتماعي منذ البداية، لأن ضعفه يجعل الناس أداته الأولى، والنضج يفتح الإمكانات التي يوقظها الوسط. والنمو يسير بالصراع والأزمة، وتحكمه ثلاثة قوانين: تناوب الاتجاه بين الذات والعالم، وغلبة وظيفة في كل مرحلة، وإدماج القديم في الجديد.

مصادر هذا المحور: Wallon، 1941، التمهيد والفصول I وIII وVII وVIII والخاتمة؛ Jalley، 2012، المقدمة؛ Ricaud وآخرون، 2019، ص 27–31 و81؛ CEMEA، د. ت.، ص 28 و34 و40–41.

للتعمق في الموقع: «هنري فالون: حياته ونظريته في نمو الطفل» https://psyencharge.com/alam/هنري-فالون/ و«نظرية النمو لهنري فالون»

https://psyencharge.com/نظرية-النمو-لهنري-فالون/ و«الأخصائي النفسي المدرسي»

https://psyencharge.com/الأخصائي-النفسي-المدرسي/

بوابة الصحة النفسية
psyencharge.com

3. فالون: المراحل والأزمات

ما ستعرفه في هذا المحور:

- ماذا يعني «المرحلة» عند فالون، وما الفرق بين عمر الطفل وعمر الطفولة.
- المراحل الست، والسلوك المهيمن والاتجاه في كل منها.
- أزمة المعارضة، ثم سن النعمة، ثم تقليد الأدوار، وأزمة البلوغ.
- لماذا تختلف الأعمار من مرجع إلى آخر.

المرحلة عند فالون

يفرق فالون بين نظرتين إلى «أعمار الطفولة». الأولى ترى النمو متصلا: عناصر بسيطة تتجمع في أنظمة أعقد، فكل يوم يضيف إلى ما قبله، وعمر الطفل وعمر نموه شيء واحد. ويرى Jalley أن المقصود بها بياجيه. والثانية نظرته هو: في لحظات معينة يصير نظام جديد من الوقائع ممكنا، فيحدث تحول يجعل النمو منقطعا. وقد تمتد عدة سنوات من العمر الزمني داخل عمر وظيفي واحد (Wallon، 1941، الخاتمة؛ Jalley، 2012، المقدمة).

فالمرحلة (stade / stage)، ويقال أيضا: الطور، مجموعة من السلوكات لها طابعها واتجاهها، وهي خطوة أصيلة في نمو الطفل. ولا تتعارض مع تداخل المكاسب، فالحل الجديد لا يصل إلى كل مستويات النشاط في وقت واحد (Wallon، 1941، الخاتمة).

سؤال الامتحان عن مفهوم المرحلة. يرد في البحث: «استبدلت المدارس السيكولوجية اللاحقة لهنري والون مفهوم المرحلة بمفهوم...». والثابت في مراجعنا ما قاله فالون نفسه: كان متحفظا من مفهوم المرحلة، ويفضل أن يتكلم عن «السلوك المهيمن» (conduite dominante)، وهو الوظيفة التي تغلب على سلوك الطفل في فترة ما، كما مر في قانون الغلبة الوظيفية (CEMEA، د. ت.، ص 28). أما المفهوم الذي استبدلت به المدارس اللاحقة مفهوم المرحلة، فيحتاج مصدرا ليس في المكتبة، هو كتاب Tran-Thong عن المراحل ومفهوم المرحلة (1971)، الذي يذكره Jalley. فلا نكتب له جوابا بلا مرجع.

كم مرحلة؟ ولماذا تختلف الأعمار؟

يعد Jalley خمس مراحل، الأولى والثانية منها مقسومتان إلى مرحلتين فرعيتين. والكتب الجامعية تفصل المرحلتين الفرعيتين الأوليين، فتصير المراحل ستا. ويأخذ Jalley أعماره من عرض لفالون سنة 1956، وينبه إلى أن كتاب 1941 يخالفه في آخر الطفولة. ففي نص 1941 تبدأ المرحلة الفئوية في السابعة وتمتد إلى 12 أو 14 سنة، وتسبقها فترة تمهيدية من الخامسة إلى السابعة. وفي 1956 صارت من السادسة إلى الحادية عشرة. ويرى Jalley أن فالون تعامل مع التقويم دائما بمرونة (Jalley، 2012، المقدمة؛ Wallon، 1941، الخاتمة).

احفظ ترتيب المراحل ومنطقها قبل الأعمار.

المرحلة	العمر التقريبي	السلوك المهيمن	الاتجاه	أهم ما تحققه	الأزمة أو الانتقال
1. الاندفاعية الحركية	من الولادة إلى 3 أشهر	تفريغات حركية غير منسقة، وتناوب الجوع والنوم	نابذ	توزيع أكثر انتظاما للتوتر العضلي، وحركات تستدعي تدخل الراشد	انتقال تدريجي إلى التعبير
2. الانفعالية	من 3 أشهر إلى سنة	الانفعال: البكاء والابتسام والوضعيات	جاذب	تواصل وجداني مع الأم، يتنوع كثيرا نحو الشهر السادس	انتقال إلى استكشاف الأشياء
3. الحسية الحركية والإسقاطية	من سنة إلى 3 سنوات (حسية حركية حتى 18 شهرا، ثم إسقاطية)	الفعل الحركي: الاستكشاف والمشي والتسمية، ثم فكر يمتد في الإشارة	نابذ	ذكاء المواقف، والكلام، والصورة المحاكية	تنتهي بأزمة المعارضة
4. الشخصانية	من 3 إلى 6 سنوات	الشخص: توكيد الأنا أمام الآخر	جاذب	الوعي بالذات والتمايز عن الآخرين	أزمة المعارضة (3–4)، ثم سن النعمة (4–5)، ثم تقليد الأدوار (5–6)
5. الفئوية	من 6 إلى 11 سنة	المعرفة: التصنيف والموضوعية	نابذ	التفكير بالفئات، وجماعة الرفاق حول المهمة	تنتهي بأزمة البلوغ
6. البلوغ والمراهقة	من 11 سنة	الشخص من جديد: القيم والمعنى	جاذب	اكتمال الشخص	أزمة البلوغ في بدايتها

جدول 1: مراحل النمو عند فالون

الأعمار تقريبية، وتختلف بين نصوص فالون نفسه. ولا يُنقل جدول Ricaud (ص 81).. المصدر: الأعمار والاتجاهات من Jalley، 2012، المقدمة (عن عرض فالون سنة 1956)؛ المحتوى من Wallon، 1941، الفصول VII وIX–XII والخاتمة؛ Ricaud وآخرون، 2019، ص 82–90. الجدول من بنائنا.

1. الاندفاعية الحركية

تملأ الأسابيع الأولى دورة الجوع والنوم. وحين يُحرر الرضيع من قماطه يتحرك حركات كثيرة غير منسقة، تختفي فيها ردود قديمة وتولد حركات جديدة. ومن الشهر الثالث تصير الحركة شغله الأكبر (Wallon، 1941، الخاتمة). هذه التفريغات أدنى مستويات الفعل الحركي، دوافعها في حدها الأدنى (Wallon، 1941، الفصل X). لكنها تستدعي تدخل الراشد، ومن هنا يبدأ الطريق إلى التعبير (Ricaud وآخرون، 2019، ص 82).

2. الانفعالية

تتمايز تعبيرات الرضيع ببطء. ثم تصير في الشهر السادس متنوعة إلى حد يجعلها وسيلة تبادل غنية مع الناس. ويعد فالون ذلك خطوة كبرى. فلحركات الطفل أثر بواسطة الآخر، ولحركات الآخر عنده معنى يتوقع به ما سيأتي. لكن هذا التبادل يبدأ اندماجا كاملا، يذوب فيه الطفل في الآخر، وعليه لاحقا أن يحدد شخصه منه (Wallon، 1941، الخاتمة). وتفصيل الانفعال في المحور 4.

3. الحسية الحركية والإسقاطية

في الثلث الأخير من السنة الأولى تنتظم التمارين الحسية الحركية، فترتبط الحركة بأثرها في الحواس. ثم يقلب المشي والكلام توازن السلوك في السنة الثانية: الأشياء التي يذهب إليها ويعرف أسماءها تنفصل عن الخلفية، فيدفعها ويملأ بها العلب ويفرغها (Wallon، 1941، الخاتمة).

وفي الشطر الثاني، من 18 شهرا إلى الثالثة، يسود ما يسميه فالون «الذهنية الإسقاطية»: الفكر يلتصق بموضوعه، والإشارة تسبق الكلمة ثم ترافقها (Jalley، 2012، المقدمة). وتظهر ألعاب التناوب، إذ يأخذ الطفل الدورين بالتعاقب: يضرب ويُضرب، ويختبئ ويبحث (Wallon، 1941، الفصل VII).

بوابة النفسية psyencharge.com

4. الشخصانية: أزمة المعارضة ثم سن النعمة ثم تقليد الأدوار

تسمى هذه المرحلة مرحلة الشخصانية (stade du personnalisme / personalism stage)، ويقال أيضا: مرحلة الشخصية. وفيها ثلاث لحظات.

أزمة المعارضة (crise d'opposition / crisis of opposition)، ويقال أيضا: أزمة الشخصية، وأزمة الثالثة. يقول فالون إن الخلط بين الطفل وغيره يتوقف فجأة نحو الثالثة. يدخل الطفل صراعات يريد بها توكيد استقلاله. وتبدأ بمعارضة سلبية في الغالب، يواجه فيها الآخرين بلا سبب سوى أن يختبر وجوده. والرهان الوحيد هو الانتصار نفسه: فالهزيمة تجرحه في كيانه، والغلبة تملؤه زهوا (Wallon، 1941، الفصل XII). وهذه الأزمة في الثالثة، لا في المراهقة كما يكتب بعض الطلبة.

ويرى فالون أن الطفل يحتاج إليها. فإن كانت باهتة جدا أنبأت بانقياد لين، وإن قوبلت بمعاركة شديدة أنبأت بفتور يائس أو برغبة في الانتقام الخفي، وإن مرت بسهولة زائدة جعلته متبجحا يُذل لاحقا (Wallon، 1941، الفصل XII).

للتوضيح: يوسف في الثالثة. تقول له أمه: «البس معطفك». فيقول: «لا»، ثم يلبسه بعد دقيقة حين تنشغل عنه. لم يكن يرفض المعطف، بل كان يقول «أنا» أمام أمه.

سن النعمة (âge de grâce / age of grace)، ويقال أيضا: سن الإغراء. والتسمية عند فالون مأخوذة من Homburger (Wallon، 1941، الفصل XII). نحو الرابعة تتغير حركات الطفل. كانت خرقاء تصل إلى هدفها كأنها تسقط عليه، فصارت متصلة متقنة، يهتم بها أكثر من هدفها. يصير هو نفسه موضوع اهتمامه. لكنه يحتاج إلى عيون الآخرين: فإعجابه بنفسه معلق بظنه أن الناس معجبون به (Wallon، 1941، الفصل XII). ولذلك فسن النعمة سن الخجل أيضا.

تقليد الأدوار (imitation des rôles / role imitation). ثم يبحث الطفل عن مضمون لشخصه عند الكبار الذين يخشى حكمهم ويجذبونه، فيقلدهم. وتقليده هنا رغبة في أن يحل محلهم بقدر ما هو إعجاب محب، فيه طاعة وتمرد معا (Wallon، 1941، الفصل XII).

ويختم فالون هذه المرحلة بتنبيه. من الثالثة إلى السادسة، التعلق بالأشخاص حاجة لا تنطفئ. فإن حُرم الطفل منه أصابه ضمور نفسي يبقى في رغبته في الحياة، أو قلق يطبعه بأهواء مؤلمة (Wallon، 1941، الفصل XII). وانظر المحورين 8 و11.

أما مفهوم «الآخر الحميم» (le socius)، الذي يُذكر في دروس فالون، فغائب عن نصوصه التي في المكتبة، لأن مقاله فيه (1946) ليس عندنا.

5. الفئوية

من السابعة تقريبا تحل الموضوعية محل التوفيق الغامض بين الأشياء، وتنتظم الأشياء في شبكة من الفئات والعلاقات (Wallon، 1941، الخاتمة). ويصير الطفل «ممارسا صغيرا» متجها إلى الخارج. يكوّن الأطفال في مواجهة الكبار مجتمعا متساويا، تتغير فيه المراتب: الأول في الإملاء قد يكون الأخير في الجري. ويختار الطفل رفاقه بحسب المهمة واللعبة. ويعرف نفسه مكانا لإمكانات متعددة، فلا يفقد هويته إذا تغير موقعه (Wallon، 1941، الفصل XII).

وينتقد المدرسة من جهتين. جهة تحمل الطفل على العمل بالمكافأة والعقاب، أي بمنطق «قطعة السكر أو العصا»، وهو ترويض لا تربية. وجهة تبني العمل على شعوره بالمسؤولية قبل أوانه. «الأولون يتأخرون، والآخرون يستبقون» (Wallon، 1941، الخاتمة). والبديل أن يهتم الطفل بالمهمة نفسه.

6. البلوغ والمراهقة

حين تقوم الصداقة على تقارب في القيم لا على مهمة مشتركة، فالطفولة قد بدأت تنتهي (Wallon، 1941، الخاتمة). وأزمة البلوغ (crise pubertaire / pubertal crisis) تشبه أزمة المعارضة لكنها «متناظرة معها أكثر مما هي مشابهة». تبدأ هي أيضا بالمعارضة، لكنها تستهدف عادات الحياة والعلاقات الراسخة أكثر من الأشخاص. ويعود التذبذب بين الرشاقة والارتباك. لكن الصغير كان ينتهي إلى تقليد الراشد، والمراهق يريد أن يتميز، فهدفه الإصلاح لا الامتثال. وحاجته إلى التعلق قوية، لكنها تطلب السيطرة أكثر من الحماية. وسره يريد شريكا، وأسئلته تصير عن المصير والقيم (Wallon، 1941، الفصل XII). وتنقل Ricaud وزميلتاها أن فالون

اعترف بأن آثار البلوغ النفسية تختلف كثيرا باختلاف العصر والطبقة الاجتماعية (Ricaud وآخرون، 2019، ص 91).

ومن النقد

يلاحظ Jalley أن تقسيم فالون الزمني يطابق تماما مراحل التحليل النفسي الليبيدية (الفمية، والشرجية، والقضيبية، والكمون، والمراهقة)، دون أن يشرح فالون ذلك، وربما دون أن ينتبه إليه (Jalley، 2012، المقدمة). ويرى أن أزمة المعارضة صارت اليوم أقرب إلى الثانية، مع أنها من أقل اكتشافات علم نفس الطفل طعنا (Jalley، 2012، المقدمة). ومنهج فالون منهج طبيب يلاحظ ويحاور، لا مجرب يبني تجارب قابلة للتكرار (Ricaud وآخرون، 2019، ص 29).

مفاهيم مفتاحية

- **المرحلة** (stade / stage): مجموعة سلوكات لها طابعها واتجاهها، يمكن أن تمتد على سنوات من العمر الزمني.
- **مرحلة الشخصانية** (stade du personnalisme / personalism stage): من 3 إلى 6 سنوات، يتجه فيها النمو إلى توكيد الشخص.
- **أزمة المعارضة** (crise d'opposition / crisis of opposition): معارضة الطفل للآخرين نحو الثالثة ليختبر استقلاله.
- **سن النعمة** (âge de grâce / age of grace): نحو الرابعة، رشاقة في الحركة وحاجة إلى إعجاب الآخرين، مع خجل.
- **تقليد الأدوار** (imitation des rôles / role imitation): نحو الخامسة، تقليد الراشد المرموق رغبة في الحلول محله وإعجابا به.
- **المرحلة الفئوية** (stade catégoriel / categorical stage): سن المدرسة، تنتظم فيها المعرفة والعلاقات في فئات.
- **أزمة البلوغ** (crise pubertaire / pubertal crisis): أزمة تفتح المراهقة، متناظرة مع أزمة المعارضة.
- **الوعي بالذات** (conscience de soi / self-awareness): معرفة الطفل نفسه شخصا متميزا عن غيره.

خلاصة المحور:

المرحلة عند فالون عمر وظيفي له طابعه، وقد يمتد على سنوات، والانتقال بين المراحل تحول لا إضافة. يمر الطفل بست مراحل تتناوب بين الذات والعالم: الاندفاعية الحركية، والانفعالية، والحسية الحركية والإسقاطية، والشخصانية، والفئوية، والمراهقة. وأكبر أزمتين أزمة المعارضة في الثالثة، تليها سن النعمة ثم تقليد الأدوار، وأزمة البلوغ التي تشبهها في البنية وتخالفها في الهدف. والأعمار تقريبية، تختلف بين نصوص فالون نفسه وبين المراجع.

مصادر هذا المحور: Wallon، 1941، الفصول VII وX وXII والخاتمة؛ Jalley، 2012، المقدمة؛ Ricaud وآخرون، 2019، ص 29 و82–91؛ CEMEA، د. ت.، ص 28 و34–35.

للتعمق في الموقع: «نظرية النمو لهنري فالون» https://psyencharge.com/نظرية-النمو-لهنري-فالون/ و«هنري فالون: حياته ونظريته في نمو الطفل» https://psyencharge.com/alam/هنري-فالون/

4. فالون: الانفعال والتوتر العضلي والتقليد، والجدل مع بياجيه

ما ستعرفه في هذا المحور:

- كيف يولد الانفعال من التوتر العضلي، ولماذا هو أول وسيلة تواصل.
- لماذا يتعارض الانفعال مع التمثيل.
- التقليد عند فالون: أصله ومراحله ووظيفته.
- نقاط الخلاف والاتفاق بين فالون وبياجيه.

من التوتر العضلي إلى الانفعال

صرخة المولود عند فالون جزء من كل حيوي لا يفرق بعد بين الحركة والإحساس (Wallon، 1941، الفصل IX). ومادة الانفعال عنده التوتر العضلي (tonus / muscle tone)، ويقال أيضا: المقوية العضلية. وهو الشد الذي يبقى في العضلة ويسبق الحركة. وللعضلة نشاطان: الانقباض الذي يحرك العضو، والتوتر العضلي الذي يثبت الوضعية. ولا يندمجان عند الرضيع، فحركاته تنطلق في الفضاء ثم تسقط (Wallon، 1941، الفصل X). وأول انفعال واضح عنده هو الخوف، ويرتبط بإحساس السقوط. وكل الانفعالات الأخرى تتبع تغيرات التوتر العضلي في الأحشاء والعضلات، أي الوظيفة الوضعية (fonction posturale / postural function) (Wallon، 1941، الفصل IX).

والانفعال عند فالون منظومة من الوضعيات تقابل نوعا من المواقف، ولكل انفعال آلية خاصة تنضج في وقتها (Wallon، 1941، الفصل IX).

الانفعال أول لغة

المواقف التي يذوب فيها الرضيع علاقات بين أشخاص قبل أن تكون أحداثا مادية. والوضعيات والأصوات التي يتكون منها الانفعال تثير في الآخر ردودا مشابهة أو مكملة. فيقوم بين الطرفين نوع من التناغم، هو أول فهم متبادل، قبل الكلام وقبل القصد. ومنه العدوى الانفعالية (contagion émotionnelle / emotional

contagion) (Wallon، 1941، الفصل IX). وتسمي الكتب الجامعية هذا التبادل «حوارا توتريا انفعاليا» (Ricaud وآخرون، 2019، ص 83)، والعبارة منها لا من كتاب 1941.

ويضرب فالون مثلا بالابتسامة، ويرتب ما جمعه الملاحظون قبله. في الأيام الأولى تأتي الابتسامة من لمس الجلد قرب الفم. ثم تأتي من الراحة العامة بعد الرضاعة أو الحمام. ثم من مثيرات بعيدة، كالضوء والأصوات. وأخيرا يظهر بيقين أثر الوجه والصوت البشري، بين الأسبوع الثالث والشهر الثاني تقريبا (Wallon، 1941، الفصل IX). فالابتسامة تبدأ قدرة عضلية، ثم تصير رسالة إلى إنسان.

لكن الانفعال يمهد لتراجعه. فحين تصير التعابير لغة واصطلاحا، تقسم قوته الجارفة وتضبطها (Wallon، 1941، الفصل IX).



الانفعال أول لغة بين الرضيع والناس، قبل الكلام (صورة توضيحية).

المصدر العلمي للموقف: Wallon، 1941، الفصل IX والخاتمة.

الانفعال والعاطفة والهوى

يفرق فالون بين ثلاثة. الانفعال رد فوري شامل على الموقف. والعاطفة تحفظ، فصاحبها يراقب من بعيد ويضيق بمن يجره إلى التبادل. والهوى يقتضي القدرة على إسكات الانفعال، ووعيا بالفرق بين النفس والآخر لا يظهر قبل الثالثة (Wallon، 1941، الفصل IX). وخلط الانفعال بالوجدان، أو الانفعال بالعاطفة، خطأ شائع عند الطلبة.

التعارض بين الانفعال والتمثيل

بين الانفعال والنشاط العقلي تطور واحد وتعارض دائم. فالتمثيل (représentation / representation)، أي الصورة الذهنية التي يقارن بها الطفل ويتوقع، لا يولد إلا إذا تراجع نصيب الوضعيات والانفعال. وكلما عاد الانفعال فغلب، فقدت الصورة مرونتها وانطفأت. وهذا عند الراشد أيضا. وعند الطفل التقدم بطيء، والتراجع متكرر (Wallon، 1941، الفصل IX).

للتوضيح: لينا في الرابعة، في نوبة غضب لأن لعبتها انكسرت. يشرح لها أبوها أنه سيصلحها غدا، فلا تسمع. بعد أن تهدأ تقول: «ستصلحها غدا؟». الشرح لم يصل وهي غاضبة، لأن الانفعال كان يملأ المكان الذي يحتاجه التمثيل.

الفعل الحركي والنمو النفسي الحركي

من يبحث عن «النمو النفسي الحركي عند فالون» (développement psychomoteur / psychomotor development) يجد جوابه في فصل «الفعل الحركي» (acte moteur / motor act). الحركة عنده جزء من فعل له موقف وغاية. والطفل يبدأ بكتل من الحركات المترابطة، ويضبطها مع نضج الألياف العصبية من أعلى الجسم إلى أسفله، ومن الجذع إلى الأطراف. ويكتشف المكان على ثلاث درجات أخذها عن Stern: مكان الفم، ثم ما تصله اليد، ثم ما يفتحه المشي (Wallon، 1941، الفصل X).

التقليد

التقليد (imitation)، ويقال أيضا: المحاكاة، من أكثر ما يُسأل عنه في فالون. وجواب سؤال «تعمل المحاكاة عند والون على...» أن التقليد يعمل على الانتقال من الفعل إلى التمثيل، وعلى تمايز الطفل عن غيره.

ما التقليد عنده؟ هو أن يقود نموذج خارجي فعل الطفل. ولذلك يرفض فالون فكرة «تقليد الذات»، ويرفض أن يُعد الترديد الآلي للحركة أو للكلمة تقليدا. فلا تقليد بلا إدراك للنموذج كلا واحدا (Wallon، 1941، الفصل X).

من أين يبدأ؟ من الاندماج (mimétisme / mimetism)، ويقال أيضا: المحاكاة الاندماجية. وهو مشاركة الطفل في انفعالات من حوله بجسده كله، دون أن يميز نفسه منهم (Wallon، 1941، الفصل XII). ثم يصير

التقليد اختيارا: لا يقلد الطفل إلا من يجذبه بقوة، وفي أصل تقليده حب وإعجاب ومنافسة (Wallon، 1941، الفصل X).

كيف يجري؟ على لحظتين متعاكستين. الأولى امتصاص: يتابع الطفل المشهد بوضعيات جسده كلها، ثم تمر فترة حضانة قد تكون ساعات أو أياما. والثانية تنفيذ: يعيد اختراع الحركات وترتيبها في المكان والزمن، وهنا يتعثر طويلا (Wallon، 1941، الفصلان VII وX). ومن أمثلته طفل يحاول قلبة المهرج بعد يومين أو ثلاثة من رؤيتها (Wallon، 1941، الفصل X).

إلى أين يقود؟ إلى الصورة المحاكية (simulacre / simulacrum) في اللعب: «فعل بلا موضوع حقيقي، على صورة فعل حقيقي» (Wallon، 1941، الفصل X). والصورة المحاكية تجمع ثلاثة أشياء في حركة واحدة: الواقع، والصورة، والإشارة. ومنها يخرج الرمز ثم التمثيل.

ويلاحظ Jalley أن فالون، مثل بياجيه، لا يرى تقليدا حقيقيا قبل 18 شهرا. ثم جاءت بحوث Meltzoff و(1977) Moore فوصفت تقليدا لحركات الوجه، كإخراج اللسان، في الأسبوعين الأولين (Jalley، 2012، المقدمة). أما «التقليد المؤجل» فمصطلح بياجيه، وهو في السند 1، المحور 4.



شكل 4: من التوتر العضلي إلى التمثيل عند فالون

الجدل مع بياجيه

بدأ فالون نقده لبياجيه سنة 1927 في عرض لأحد كتبه. اعترض على أن يُربط نمو الذكاء بنمو الاجتماعية عبر فكرة التمركز حول الذات (égocentrisme / egocentrism)، ورأى أن الطفل «كائن اجتماعي من أول لحظة في وجوده» (Wallon، 1927، نقلا عن Kohler، 2014، ص 88).

وفي كتاب 1941 يسمي فالون بياجيه صراحة مرة واحدة: يمدح وصفه في «نشأة الذكاء عند الطفل»، ثم يأخذ عليه أنه ينكر ظهور أنشطة جديدة ينتجها نضج الأعضاء، فيخلط بين الوصف وشروط الحياة النفسية العميقة (Wallon، 1941، الفصل III). وفي سنة 1942 شبه طفل بياجيه بروبنسون على جزيرته، يملك وحده كل ما يلزمه ليأخذ من الطبيعة ما يحتاج إليه (Wallon، 1942، نقلا عن Kohler، 2014، ص 182).

ورد بياجيه بحدة. قال إن فالون لم يفهم من مسلّماته إلا القليل، وإنه وقع أسير علم الاجتماع عند دوركهايم، الذي يرى الحياة الاجتماعية كتلة واحدة. فالمجتمع عند بياجيه نسق من العلاقات، لا شيء ولا سبب (Kohler، 2014، ص 183). ثم وصف تلميذ فالون Philippe Malrieu نظرية بياجيه بأنها عقلانية تهمل الانفعال (Kohler، 2014، ص 204–205).

لكن الجدل غيّر الطرفين. فبعد نقد فالون ترك بياجيه مصطلحي «الذاتوية» و«الأنانة» لوصف بداية النمو، وصار يتكلم عن مرحلة حسية حركية، فوافق فالون في تأكيد الأساس العصبي للتفكير (Kohler، 2014، ص 169). ووافق في محاضرات 1953–1954 على أن الانفعالات تؤثر في نمو الوظائف المعرفية، لكنه رفض أن تكون مصدرا للمعرفة (Kohler، 2014، ص 205). ومن الخطأ المشترك بينهما، كما تقول البحوث اللاحقة، أنهما جعلا ذكاء الرضيع حسيا حركيا خالصا، في حين أن الرضع يصنفون الأشياء ويتابعون العالم بالإدراك قبل الفعل (CEMEA، د. ت.، ص 29). وموقف بياجيه نفسه من الوجدان في السند 1، المحور 7.

	فالون	بياجيه
الطفل في البداية	كائن اجتماعي من أول لحظة	يبدأ في حال فردية، بلا تفاعل اجتماعي ممكن في الشهور الأولى
ما يحرك النمو	النضج العضوي والوسط البشري، والصراع بينهما	القوة الداخلية لنمو الذكاء

	فالون	بياجيه
شكل الانتقال	انقطاع وأزمات وإعادة بناء	اتصال وتوسع تدريجي، كما يقرؤه فالون
مكان الانفعال	أصل الحياة النفسية وأول تواصل	طاقة السلوك، لا بنيته ولا مصدر المعرفة
الوسط الاجتماعي	شريك منذ البداية، والإنسان اجتماعي في جوهره	نسق علاقات يأتي دوره متأخرا في عرضه
ما اتفقا عليه	الأساس العصبي للتفكير، وأثر الانفعال في المعرفة، وذكاء رضيع حسي حركي (وهذا الأخير صححته البحوث)	

جدول 2: فالون وبياجيه

المصدر: Kohler، 2014، ص 88 و155 و169 و182–183 و205؛ Wallon، 1941، الفصل III والخاتمة؛ Jalley، 2012، المقدمة؛ CEMEA، د. ت.، ص 29.

مفاهيم مفتاحية

- **التوتر العضلي** (tonus / muscle tone): الشد الدائم في العضلة الذي يثبت الوضعية، ومادة الانفعال.
- **الوظيفة الوضعية** (fonction posturale / postural function): قدرة الجسم على اتخاذ وضعيات ترتبط بالإحساس والانفعال.
- **العدوى الانفعالية** (contagion émotionnelle / emotional contagion): انتقال الانفعال من شخص إلى آخر بالوضعيات والتعابير.
- **التمثيل** (représentation / representation): صورة ذهنية للمقارنة والتوقع، تتعارض مع الانفعال.
- **الفعل الحركي** (acte moteur / motor act): حركة لها موقف وغاية، أساس النمو النفسي الحركي.
- **التقليد** (imitation): فعل يقوده نموذج خارجي، ينقل الطفل من الفعل إلى التمثيل.
- **الاندماج** (mimétisme / mimetism): مشاركة جسدية في انفعالات الآخرين قبل التمايز عنهم.
- **الصورة المحاكية** (simulacre / simulacrum): فعل بلا موضوع حقيقي على صورة فعل حقيقي، يمهد للرمز.

خلاصة المحور:

الانفعال عند فالون يولد من التوتر العضلي والوضعيات، ويصير أول لغة بين الرضيع والناس قبل الكلام، كما تشهد الابتسامة التي تنتقل من الجلد إلى الوجه البشري. لكنه يتعارض مع التمثيل، فكلما غلب أحدهما تراجع الآخر. والتقليد يبدأ اندماجا انفعاليا، ثم يصير اختيارا لنموذج محبوب، ويمر بالامتصاص والحضانة والتنفيذ،

ويقود في اللعب إلى الصورة المحاكية ثم إلى التمثيل. وجدل فالون مع بياجيه حول الاجتماعي والانفعال غيّر بياجيه نفسه، وكشفت البحوث اللاحقة خطأ مشتركا بينهما في ذكاء الرضيع.

مصادر هذا المحور: Wallon، 1941، الفصول III وVII وIX وX وXII والخاتمة؛ Ricaud وآخرون، 2019، ص 83؛ Jalley، 2012، المقدمة؛ Kohler، 2014، ص 88 و90 و155 و169 و182–183 و204–205؛ CEMEA، د. ت.، ص 29.

للتعمق في الموقع: «نظرية فالون في النمو العاطفي» https://psyencharge.com/نظرية-فالون-في-النمو-العاطفي/ و«جان بياجيه» https://psyencharge.com/alam/جان-بياجيه/ و«السند 1: نظريات النمو المعرفي» https://psyencharge.com/sanadat/نظريات-النمو-المعرفي-pdf/

بوابة الصحة النفسية psyencharge.com

5. إريكسون: من فرويد إلى المبدأ التخلقي

ما ستعرفه في هذا المحور:

- من هو إريك إريكسون، ولماذا ترتبط سيرته بمفهوم الهوية.
- ما أخذه عن فرويد، وما أضافه: الأنا، والمجتمع، والعمر كله.
- معنى المبدأ التخلقي، ومعنى «الأزمة» عنده.
- كيف درس الإنسان: الحالة العيادية، والمقارنة بين الثقافات، والسيرة النفسية.

الرجل الذي سمّى نفسه

إريك إريكسون (Erik H. Erikson)، ويكتبه بعض الطلبة «اريكسون» بلا همزة، محلل نفسي ولد في ألمانيا سنة 1902 وتوفي في أمريكا سنة 1994. نشأ باسم Homburger، اسم زوج أمه الطبيب، ولم يعرف أباه. ثم اختار لنفسه في شبابه اسم «إريكسون»، أي «ابن إريك». ولم يحمل شهادة بعد الثانوية. تكوّن في فيينا، وحللته آنا فرويد، وهاجر إلى أمريكا سنة 1933 (Kazdin، 2000، م 3، ص 236–237). فالرجل الذي سيجعل الهوية سؤال المراهقة صنع هويته بنفسه. وتفاصيل سيرته في صفحته بين أعلام الموقع.

من فرويد إلى إريكسون

قبل إريكسون أسس فرويد: اللاشعور، والدوافع، والمراحل الجنسية النفسية، والمنهج التحليلي (Miller، 2016، ص 133). لكنه نقل مركز الثقل إلى الأنا، فعُدّ من أوائل علماء علم نفس الأنا (/ psychologie du moi ego psychology) وأكثرهم أثرا (Kazdin، 2000، م 3، ص 235). وهذا جواب من يبحث عن «الأنا عند إريكسون»: الأنا عنده قوة تنظم الخبرة وتحفظ تماسكها، لا مجرد وسيط بين الهو والأنا الأعلى.

وتلخص Miller إضافاته في ثلاث: مراحل نفسية اجتماعية تغطي العمر كله، ودراسة الهوية، ومناهج تتجاوز أريكة المحلل (Miller، 2016، ص 134). ويرى Shaffer وKipp فرقين آخرين: الطفل عند إريكسون مستكشف نشيط لا متلقٍ سلبي لدوافعه، والثقل عنده للمجتمع والثقافة أكثر من الجنس. لذلك سُمّيت نظرية فرويد

«جنسية نفسية» ونظريته نظرية النمو النفسي الاجتماعي (développement psychosocial / psychosocial development) (Shaffer وKipp، 2010، ص 44).

أما المراحل الجنسية عند فرويد فمكانها السند 4. ويكفي هنا أن إريكسون أعاد قراءتها بثلاثة مفاهيم: المنطقة الجسدية، والنمط، والكيفية (zones, modes et modalités / zones, modes, and modalities). ويصير نمط كل منطقة طريقة عامة في التعامل مع العالم: الأخذ، ثم الإمساك والترك، ثم «الصنع» (Erikson، 1963، ص 72–73 و251 و255).

ثلاث عمليات في حياة واحدة

افتتح إريكسون كتابه «الطفولة والمجتمع» سنة 1950 بحالة سام، وهو طفل في الثالثة في شمال كاليفورنيا. أصابته نوبة تشبه الصرع بعد خمسة أيام من وفاة جدته (Erikson، 1963، ص 25). ولم يبحث إريكسون عن «سبب» واحد. وجد ثلاث عمليات متشابكة: عملية جسدية في الكائن الحي، وعملية الأنا التي تنظم الخبرة، وعملية اجتماعية تضع الطفل في أسرة وطبقة وأمة. فالإنسان في كل لحظة كائن حي، وأنا، وعضو في مجتمع (Erikson، 1963، ص 34–37). والنوبة لم يصنعها عامل واحد. صنعها التقاء هشاشات العمليات الثلاث.

ثم عرض حالة جندي عاد من الحرب بصداع لا يفارقه، وسنعود إليها في المحور 7 (Erikson، 1963، ص 38–43).

المبدأ التخلقي

استعار إريكسون فكرته المركزية من علم الأجنة. فالجنين لا يحمل إنسانا صغيرا جاهزا ينتفخ، كما ظنت الفكرة القديمة. أعضاؤه تنشأ خطوة بعد خطوة، ولكل عضو وقت ظهوره. فإن فات العضوَ وقته تعطل، وأخل بتوازن الأعضاء كلها (Erikson، 1963، ص 65–66). هذا هو المبدأ التخلقي (principe épigénétique / epigenetic principle)، ويقال أيضا: المبدأ الجنيني. وكلمة epi تعني «على»، وgenesis تعني «النشأة» (Miller، 2016، ص 135).

ونقل إريكسون المبدأ من الرحم إلى المجتمع. فالطفل بعد الولادة لا يكوّن أعضاء جديدة. لكنه، إن وُجّه توجيها معقولا، يطيع قوانين داخلية تخلق له «تتابعا من الإمكانات للتفاعل الدال مع من حوله»، ويبقى «الإيقاع المناسب والتتابع المناسب» حاكمين لكل تنوع ثقافي (Erikson، 1963، ص 67).

وهذا جواب سؤال امتحاني متكرر: «حسب إريكسون، النمو سيرورة تمكن من...». الجواب من نصه: النمو يسير بخطوات محددة سلفا في استعداد الشخص لأن يندفع نحو دائرة اجتماعية تتسع، ويعيها، ويتفاعل معها. والمجتمع من جهته مبني ليستقبل هذا التتابع ويحمي إيقاعه وترتيبه (Erikson، 1963، ص 270).



شكل 5: المخطط التخلقي مبسطا

رسم إريكسون المراحل على قطر مربع كبير (شكل 5). وشرح معناه: كل عنصر من قوة الأنا مرتبط بالعناصر الأخرى، وكل عنصر موجود بشكل ما قبل أن يحين وقته الحرج (Erikson، 1963، ص 271). فالرضيع يبدي شيئا من «الاستقلالية» حين يتلوى ليتخلص من ذراع تمسكه بقوة. لكن الاستقلالية لا تصير أزمة إلا في السنة الثانية. والخانات الفارغة فوق القطر وتحته دعوة إلى التفكير: ماذا تصير الثقة في الشيخوخة؟ ويقترح إريكسون أن تصير إيمانا ناضجا (Erikson، 1963، ص 271–273). ثم يحذر: المخطط «أداة للتفكير»، لا وصفة تُتبع في التربية ولا في العلاج (Erikson، 1963، ص 270).

الأزمة منعطف لا كارثة

الأزمة عند إريكسون ليست مرضا. يقول إن قائمة المراحل لا تعني أن النمو سلسلة كوارث. النمو النفسي الاجتماعي يسير بخطوات «حرجة»، والحرج صفة «المنعطفات»، أي «لحظات القرار بين التقدم والنكوص، والتكامل والتأخر» (Erikson، 1963، ص 270–271). وكان يسمي الأزمة «الصراع النووي» (nuclear conflict). أما عبارة «الأزمة النفسية الاجتماعية» (crise psychosociale / psychosocial crisis) فمن شراحه. وتصفها Ricaud وزميلتاها بأنها منعطف وفترة قابلية للخطر غنية بإمكانات جديدة، لا تهديد بكارثة (Ricaud وآخرون، 2019، ص 32).

والمطلوب في كل أزمة نسبة مواتية (ratio favorable / favorable ratio) بين القطبين، لا انتصار مطلق لأحدهما (Erikson، 1963، ص 271). ويحذر إريكسون في هامش طويل من تحويل المراحل إلى «سلم إنجازات»: الثقة لا تُكتسب مرة واحدة وإلى الأبد، والأقطاب «السلبية» تبقى طوال الحياة مقابلا حيا للإيجابية (Erikson، 1963، ص 273–274، هامش).

منهج إريكسون

جمع إريكسون ثلاثة مناهج (Miller، 2016، ص 138):

- **الملاحظة العيادية واللعب:** من حالة سام والجندي إلى ألعاب الأطفال التي يبنونها في الجلسة.
- **المقارنة بين الثقافات:** عاش مع السيو (Sioux) في داكوتا الجنوبية، ودرس صيادي اليوروك (Yurok) في كاليفورنيا. فرأى مثلا أن السيو يرضعون أطفالهم سنوات بروح الكرم التي تسود قيمهم (Miller، 2016، ص 134–135).
- **السيرة النفسية** (psychobiographie / psychobiography): قراءة نمو شخصية تاريخية بأدوات التحليل النفسي، كما في كتابيه عن لوثر (1958) وغاندي (1969)، والأخير نال جائزة بوليتزر (Miller، 2016، ص 138–139).

مفاهيم مفتاحية

- **علم نفس الأنا** (psychologie du moi / ego psychology): تيار تحليلي يدرس الأنا قوة تنظم الخبرة وتتكيف مع الواقع.
- **المبدأ التخلقي** (principe épigénétique / epigenetic principle): تنشأ قوى الشخصية واحدة بعد أخرى، ولكل منها وقت ظهورها، حتى تكتمل في كل واحد.
- **الأزمة النفسية الاجتماعية** (crise psychosociale / psychosocial crisis): منعطف بين التقدم والنكوص في كل مرحلة، يُحسم بنسبة مواتية لا بانتصار مطلق.

خلاصة المحور:

بدأ إريكسون من فرويد وبقي داخل التحليل النفسي، لكنه جعل الأنا والمجتمع والعمر كله في قلب النظرية. ورأى الإنسان كائنا حيا وأنا وعضوا في جماعة في وقت واحد. واستعار من علم الأجنة المبدأ التخلقي: لكل قوة نفسية وقتها، والمجتمع شريك في حماية إيقاعها. والأزمة عنده منعطف يُحسم بنسبة مواتية بين قطبين، ويبقى القطبان معنا مدى الحياة.

مصادر هذا المحور: Erikson، 1963، ص 25 و34–37 و42 و65–67 و72–73 و251 و255 و270–274؛ Miller، 2016، ص 133–139؛ Shaffer وKipp، 2010، ص 44؛ Ricaud وآخرون، 2019، ص 32؛ Kazdin، 2000، م 3، ص 235–237.

للتعمق في الموقع: «إريك إريكسون: حياته ونظريته» https://psyencharge.com/alam/إريك-إريكسون/ و«السند 4: التحليل النفسي» https://psyencharge.com/sanadat/التحليل-النفسي-pdf/

6. إريكسون: المراحل الثماني ونقدها

ما ستعرفه في هذا المحور:

- الأزمة والفضيلة ودائرة العلاقات في كل مرحلة من المراحل الثماني.
- ما يقابل كل مرحلة عند فرويد، باختصار.
- مثالا للتوضيح من البيت والقسم لكل مرحلة.
- نقاط القوة والضعف في النظرية، وما قالته البحوث بعدها.

نظرة عامة

قسم إريكسون العمر إلى «ثمانية أعمار للإنسان». أربعة للطفولة، وواحد للمراهقة، وثلاثة للرشد (Ricaud وآخرون، 2019، ص 32). ولكل مرحلة أزمة بين قطبين، ودائرة من العلاقات الدالة تتسع من الأم إلى «الإنسانية» (Miller، 2016، ص 136). ولكل مرحلة أيضا مؤسسة اجتماعية تحرسها: الدين للثقة، والقانون والنظام للاستقلالية، والنظام الاقتصادي للمبادأة، والتقنية للاجتهاد، والتراتب الاجتماعي للهوية، وأنماط العلاقات للألفة، والتربية والفن والعلم للإنتاجية، والفلسفة للتكامل (Erikson، 1963، ص 278–279).

المرحلة	العمر التقريبي	الأزمة	الفضيلة	دائرة العلاقات	المقابل عند فرويد	مثال للتوضيح
1	من الولادة إلى سنة	الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة	الأمل	شخص الأم	الفمية	رضيع يهدأ حين يسمع خطوات أمه قبل أن يراها
2	من 1 إلى 3 سنوات	الاستقلالية مقابل الخجل والشك	الإرادة	الوالدان	الشرجية	طفل يصر على أن يلبس حذاءه وحده
3	من 3 إلى 6 سنوات	المبادأة مقابل الشعور بالذنب	الغاية	الأسرة النواة	القضيبية (الأوديبية)	طفلة تلعب دور المعلمة وتوزع الأدوار على إخوتها

المرحلة	العمر التقريبي	الأزمة	الفضيلة	دائرة العلاقات	المقابل عند فرويد	مثال للتوضيح
4	من 6 إلى 11 سنة	الاجتهاد مقابل الشعور بالنقص	الكفاءة	الحي والمدرسة	الكمون	تلميذ يفخر بمجسم أتمه مع زملائه
5	المراهقة	الهوية مقابل تشتت الدور	الإخلاص	جماعة الأقران والجماعات الأخرى، ونماذج القيادة	التناسلية	طالب بكالوريا يتردد في اختيار شعبته
6	الرشد المبكر	الألفة مقابل العزلة	الحب	شركاء الصداقة والزواج والتعاون والتنافس		شابة تبني صداقة عميقة لا تخاف فيها أن تذوب
7	الرشد الأوسط	الإنتاجية مقابل الركود (والانشغال بالذات)	الرعاية	العمل المقسوم والبيت المشترك		أستاذ يرعى طلبته الجدد
8	الشيخوخة	تكامل الأنا مقابل اليأس	الحكمة	«الإنسانية»، و«بنو جنسي»		جد يروي حياته لأحفاده راضيا بها

جدول 3: المراحل الثماني عند إريكسون

الأمثلة من إعدادنا للتوضيح، والأعمار تقريبية.. المصدر: الأزمات من Erikson، 1963، ص 247–269؛ الفضائل من Erikson، 1963، ص 273–274 (هامش) ومن Crain، 2014، ص 294؛ دائرة العلاقات من Miller، 2016، ص 136 (عن Erikson، 1959)؛ الأعمار والمقابل عند فرويد من Crain، 2014، ص 294. الأمثلة من إعدادنا للتوضيح.

المرحلة 1: الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة

أول علامات الثقة عند الرضيع جسدية: سهولة رضاعته، وعمق نومه، وارتخاء أمعائه. وأول إنجاز اجتماعي له أن يترك أمه تغيب عن عينه دون قلق زائد أو غضب، لأنها صارت «يقينا داخليا» و«شيئا متوقعا» في الخارج (Erikson، 1963، ص 247). والثقة تتعلق بنوعية العلاقة، لا بكمية الطعام ولا بمظاهر الحب. والأم تصنع الثقة حين تجمع العناية الحساسة بحاجات طفلها إلى ثقتها هي بنفسها داخل نمط ثقافتها (Erikson، 1963، ص 249). ويضيف جملة تستحق الحفظ: الأطفال لا يصيرون عصابيين من الحرمانات، بل من غياب المعنى الاجتماعي فيها (Erikson، 1963، ص 249–250).

ولا يطلب إريكسون ثقة بلا شك. يقول Crain إن الرضيع يحتاج قدرا من عدم الثقة ليتعلم أن يثق بتمييز، وإلا صار ساذجا (Crain، 2014، ص 293).

سؤال امتحان: «يعتبر إريكسون أن مرحلة الثقة مقابل الشك لاحقة على مرحلة...». السؤال مضلل. الثقة هي المرحلة الأولى عند إريكسون، ولا مرحلة قبلها (Erikson، 1963، ص 247 و271). ويسمي إسماعيل هذه المرحلة «بين الثقة والشك» (إسماعيل، 1986، ص 23)، وهذا مصدر الصيغة. لكن «الشك» عند إريكسون نفسه يخص المرحلة الثانية.

المرحلة 2: الاستقلالية مقابل الخجل والشك

ينضج الجهاز العضلي، فيجرب الطفل كيفيتين متقابلتين: الإمساك والترك (Erikson، 1963، ص 251). ويقول «لا»، ويريد أن يختار. والمطلوب من الكبار حزم مطمئن، يحميه من فوضى رغباته دون أن يكسره. فإن حُرم الاختيار التدريجي، قلب رغبته في التحكم على نفسه، فصار «ضميرا مبكرا» وتكرارا قهريا (Erikson، 1963، ص 252). والخجل عنده إحساس بأن المرء مكشوف وتحت الأنظار، والشك «أخو الخجل» (Erikson، 1963، ص 252–253). ومن ضبط النفس دون خسارة احترامها يولد شعور دائم بحسن النية والاعتزاز (Erikson، 1963، ص 254).

المرحلة 3: المبادأة مقابل الشعور بالذنب

يمشي الطفل ويتكلم ويتخيل، فيضيف إلى الاستقلالية روح المبادرة: التخطيط و«الهجوم» على المهمة لمجرد أن يكون نشيطا (Erikson، 1963، ص 255). والخطر شعور بالذنب من الأهداف التي يتخيلها. وهنا عقدة أوديب والأنا الأعلى، وتفصيلهما في السند 4. ويرى إريكسون أن الطفل في هذه المرحلة أكثر استعدادا من أي وقت ليتعلم بسرعة ونهم، وليصنع الأشياء مع غيره (Erikson، 1963، ص 258).

المرحلة 4: الاجتهاد مقابل الشعور بالنقص

تصير الحياة «حياة مدرسة»، في قسم أو حقل. يتعلم الطفل أن يكسب الاعتراف بأن ينتج أشياء، ويحب إتمام العمل بانتباه ومثابرة (Erikson، 1963، ص 258–259). والخطر الشعور بالعجز والنقص. ويحذر إريكسون

من خطرين اجتماعيين: أن يشعر التلميذ بأن لون بشرته أو أصل والديه يقرر قيمته بدل رغبته في التعلم، وأن يصير العمل وحده مقياس القيمة، فيخرج إنسانا مطيعا لتقنيته بلا تفكير (Erikson، 1963، ص 260–261). ويسمي إسماعيل هذه المرحلة «الإنجاز»، ونحن نكتب «الاجتهاد» حتى لا تلتبس بالإنجاز الدراسي.

المراحل 5 إلى 8 باختصار

- **الهوية مقابل تشتت الدور**: موضوع المحور 7.
- **الألفة مقابل العزلة**: الشاب الخارج من البحث عن هويته مستعد لأن يمزجها بهوية غيره، في صداقة وزواج وعمل، وأن يلتزم ولو كلفه ذلك تضحيات. ومن يخاف أن يضيع فيها يقع في العزلة (Erikson، 1963، ص 263–266).
- **الإنتاجية مقابل الركود**: الإنتاجية هي الاهتمام بتنشئة الجيل التالي وتوجيهه. و«الإنسان الناضج يحتاج أن يُحتاج إليه». ولا يكفي إنجاب الأطفال لتحقيقها (Erikson، 1963، ص 266–267).
- **تكامل الأنا مقابل اليأس**: قبول دورة الحياة الواحدة كما كانت، بلا بديل. واليأس شعور بأن الوقت قصير جدا لبدء حياة أخرى (Erikson، 1963، ص 268–269).

وفي آخر الفصل يعود إريكسون إلى المهد: الطفل السليم لا يهاب الحياة حين يجد في الكبار تكاملا يكفي لئلا يهابوا الموت (Erikson، 1963، ص 269).

الفضائل: من أين جاءت؟

لم تكن الفضائل في نص المراحل سنة 1950. أضافها إريكسون في هامش طبعة 1963، تحت المخطط التخلقي، وسماها «الفضائل الأساسية». ويقول إنها الثمرة الباقية لـ«النسبة المواتية» في كل مرحلة. وفصّلها في كتاب «البصيرة والمسؤولية» (1964)، وهو غائب عن المكتبة (Erikson، 1963، ص 274، هامش). ويعرض Crain هذه الفضائل في جدول، مع عبارات من كتب إريكسون اللاحقة: الأمل توقع أن الخير سيأتي رغم الخيبات، والإخلاص القدرة على الوفاء بولاء اختاره المرء بحرية (Crain، 2014، ص 293–294 و300).

نقد النظرية

ما يُحسب لها. وسّعت التحليل النفسي: أضافت النفسي الاجتماعي إلى الجنسي، والسوي إلى المرضي، وملاحظة الأطفال إلى إعادة بناء الطفولة من ذاكرة الراشد، ونمو الراشد إلى نمو الطفل. وأسهمت في ظهور منظور النمو عبر العمر كله (Miller، 2016، ص 146؛ Kazdin، 2000، م 3، ص 234).

ومن النقد:

- **غياب المنهجية:** النظرية مجموعة مرنة من الملاحظات والتعميمات، يصعب صوغها فرضيات تُختبر. ومصطلحاتها ملتبسة، فـ«الإنتاجية» و«التكامل» لا تحملان معناهما المعتاد (Miller، 2016، ص 147).
- **غياب آلية الانتقال:** لا تشرح كيف ينتقل الطفل من مرحلة إلى أخرى، ولا كيف يحسم الأزمة، ولا لماذا تأتي أزمة الاجتهاد بعد المبادأة لا غيرها (Miller، 2016، ص 147). ويسميها Shaffer وKipp «نظرة وصفية» أكثر منها تفسيرا (Shaffer وKipp، 2010، ص 45–46).
- **الربط الزائد بمناطق فرويد:** يرى Robert White (1960) أن صيحات «لا» والمشي النشيط عند ابن السنتين لا علاقة لها بالإمساك والإخراج الشرجيين (Crain، 2014، ص 312).
- **الغموض:** كتب إريكسون في مقدمة كتابه أنه جاء إلى علم النفس من الفن، وأن القارئ سيجده أحيانا يرسم سياقا حيث ينتظر منه وقائع (Erikson، 1963، ص 18). ولم يشرح دور النضج بعد الطفولة (Crain، 2014، ص 312–313).
- **قلة البحث في ادعاءاته المحددة:** مثل ترتيب المراحل (Miller، 2016، ص 146).

وتقول البحوث اللاحقة: أنشط ما بقي من إريكسون هو الهوية، وفيها بنى Marcia قياسه (المحور 7). وبحوث الإنتاجية ونمو الراشد مستمرة. وظهر مفهوم «الرشد الناشئ» عند Arnett، وهي فترة من آخر المراهقة إلى منتصف العشرينيات، يواصل فيها الشباب في المجتمعات الصناعية استكشاف هويتهم. وهي فترة لا توجد بالصورة نفسها في كل الثقافات (Miller، 2016، ص 148–149).

مفاهيم مفتاحية

- **الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة** (confiance ou méfiance / basic trust vs. basic mistrust): الأزمة الأولى، وثمرتها الأمل.
- **الاستقلالية مقابل الخجل والشك** (autonomie ou doute/honte / autonomy vs. shame and doubt): أزمة الإرادة في السنتين الثانية والثالثة.
- **المبادأة مقابل الشعور بالذنب** (initiative ou culpabilité / initiative vs. guilt): أزمة الغاية في سن ما قبل المدرسة. ويقال أيضا: المبادرة.
- **الاجتهاد مقابل الشعور بالنقص** (compétence ou infériorité / industry vs. inferiority): أزمة الكفاءة في سن المدرسة. ويقال أيضا: المثابرة.
- **قوة الأنا** (force du moi / ego strength): الفضيلة الباقية من النسبة المواتية في كل مرحلة. ويقال أيضا: الفضيلة.
- **دائرة العلاقات** (rayon des relations significatives / radius of significant relations): الأشخاص الدالون في كل مرحلة، من الأم إلى الإنسانية.
- **الإنتاجية مقابل الركود** (générativité ou stagnation / generativity vs. stagnation): اهتمام الراشد برعاية الجيل التالي. ويقال أيضا: التوليدية.
- **تكامل الأنا مقابل اليأس** (intégrité personnelle ou désespoir / ego integrity vs. despair): قبول دورة الحياة الواحدة في الشيخوخة.

خلاصة المحور:

المراحل الثماني تبدأ بالثقة في المهد وتنتهي بتكامل الأنا في الشيخوخة. ولكل مرحلة أزمة، ودائرة علاقات تتسع، ومؤسسة اجتماعية تحرسها، وفضيلة أضافها إريكسون سنة 1963. والثقة هي الأولى، ولا شيء قبلها. وقوة النظرية في سعتها، وضعفها في غموض مفاهيمها وغياب آلية الانتقال. وما يثبت منها في البحث اليوم يخص الهوية ونمو الراشد أكثر من الطفولة.

مصادر هذا المحور: Erikson، 1963، ص 18 و247–274 و278–279؛ Crain، 2014، ص 293–294 و300 و312–313؛ Miller، 2016، ص 136 و146–149؛ Shaffer وKipp، 2010، ص 45–46؛ Ricaud وآخرون، 2019، ص 32؛ إسماعيل، 1986، ص 23؛ Kazdin، 2000، م 3، ص 234.

للتعمق في الموقع: «نظرية إريكسون في النمو النفسي الاجتماعي: المراحل الثماني» https://psyencharge.com/نظرية-النمو-النفسي-الاجتماعي/ و«مراحل النمو عند فرويد» https://psyencharge.com/مراحل-النمو-عند-فرويد/

بوابة الصحة النفسية
psyencharge.com

7. الهوية في المراهقة: إريكسون ومارشا

ما ستعرفه في هذا المحور:

- ما هوية الأنا، وما أزمة الهوية، ومن أين جاء المفهوم.
- ما المهلة النفسية الاجتماعية، والهوية السلبية.
- حالات الهوية الأربع عند مارشا، والبعدان اللذان تقوم عليهما.
- ما تقوله البحوث عن تطور الهوية، ودور الأسرة والمدرسة والثقافة.

هوية الأنا عند إريكسون

مع البلوغ تنتهي الطفولة. ينمو الجسم بسرعة تشبه سرعته في الطفولة الأولى، ويأتي النضج الجنسي. فيعود المراهق يسأل عما كان يعتمد عليه من ثبات واستمرار. ويشغله سؤالان: كيف يبدو في أعين الآخرين مقارنة بما يشعر أنه هو، وكيف يصل ما تعلمه من أدوار ومهارات بمهن عصره (Erikson، 1963، ص 261).

وهوية الأنا (identité du moi / ego identity) عنده أكثر من مجموع تماهيات الطفولة. يعرّفها بأنها «الثقة المتراكمة بأن الثبات والاستمرار الداخليين، كما أُعدّا في الماضي، يقابلهما ثبات معناك عند الآخرين واستمراره» (Erikson، 1963، ص 261). فالهوية جسر بين الداخل والخارج، وبين الماضي والمستقبل. وتفصّلها Ricaud وزميلتاها في ثلاثة مكونات: الاستمرار في الزمن، والوحدة عبر الخبرات المتنوعة، والتمايز عن الآخرين (Ricaud وآخرون، 2019، ص 219).

ولا تبدأ الهوية في المراهقة: الطفل الذي يمشي أول مرة يفرح أيضا بمكانة «من يستطيع المشي» في ثقافته (Erikson، 1963، ص 235). لكن الأزمة تبلغ ذروتها في المراهقة. ولهذا تنقل Kay Deaux قوله إن الهوية «غير ممكنة قبل نهاية المراهقة، ولا غنى عنها بعدها» (Erikson، 1968، نقلا عن Kazdin، 2000، م 4، ص 222).

أزمة الهوية ومن أين جاءت

أول من وصف أزمة الهوية (crise d'identité / identity crisis) جنود عادوا من الحرب العالمية الثانية، فقدوا الإحساس بأن حياتهم متماسكة (Erikson، 1963، ص 42؛ Miller، 2016، ص 138). ثم رأى الظاهرة نفسها، أشد، في مراهقين مضطربين، ثم أخف في كل حياة. ويسميها إسماعيل «أزمة الذاتية». وصار إريكسون يلقب «أبا أزمة الهوية» (Kazdin، 2000، م 3، ص 235). ورأى في الهوية مشكلة العصر: مريض فرويد كان يعرف من هو ويمنعه الكبت أن يكونه، ومريض اليوم يعاني من سؤال: بماذا يؤمن، ومن يكون (Erikson، 1963، ص 279).

الهوية مقابل تشتت الدور

هذه هي «المعضلة الأساسية في المراهقة» عند إريكسون، وهو سؤال امتحاني متكرر. وخطر المرحلة تشتت الدور (confusion des rôles / role confusion)، ويقال أيضا: اضطراب الدور. وما يبحث عنه بعض الطلبة بصيغة «اضطراب الدورة حسب إريكسون» تحريف لهذه العبارة. ويتنقل إريكسون نفسه بين كلمتين: «confusion» في فصل المراحل، و«diffusion» في موضع آخر من الكتاب نفسه (Erikson، 1963، ص 262 و307).

وأغلب ما يزعج الشباب عجزهم عن الاستقرار على هوية مهنية. فيتماهون مؤقتا بأبطال الجماعات حتى يبدو أنهم فقدوا هويتهم كلها. وحب المراهق محاولة لتعريف الذات، يرى فيها صورته المشتتة منعكسة في غيره فتتضح. «لهذا كان أكثر حب الشباب حديثا» (Erikson، 1963، ص 262).

المهلة النفسية الاجتماعية

عقل المراهق عند إريكسون «عقل المهلة». والمهلة النفسية الاجتماعية (moratoire psychosocial / psychosocial moratorium)، ويقال أيضا: فترة التأجيل، مرحلة بين الطفولة والرشد، وبين أخلاق تعلمها الطفل وأخلاقيات يبنيها الراشد (Erikson، 1963، ص 262–263). فيها يؤجل المجتمع التزامات الراشد، ويسمح بتجريب الأدوار (Ricaud وآخرون، 2019، ص 219).

ومن فشل في بناء هوية قد يتبنى هوية سلبية (identité négative / negative identity): يصير «الجانح» أو «الفاشل»، لأن أن يكون المرء كل ما لا ينبغي أن يكونه أهون عنده من ألا يكون شيئا (Shaffer وKipp، 2010، ص 506؛ Ricaud وآخرون، 2019، ص 219).

حالات الهوية الأربع عند مارشا

حالات الهوية الأربع ليست من إريكسون. وضعها James Marcia سنة 1966، ليحول فكرة إريكسون إلى شيء يقاس. ونص مارشا الأصلي غائب عن المكتبة، فالعرض هنا من Ricaud وShaffer وMiller.

يقوم نموذج مارشا على بعدين. الأول الاستكشاف (exploration)، وسماه مارشا أولا «الأزمة»: البحث النشط بين بدائل المهنة والمعتقد. والثاني الالتزام (engagement / commitment): درجة استثمار الفرد في مهنة أو معتقد (Marcia، 1967، نقلا عن Miller، 2016، ص 149؛ Ricaud وآخرون، 2019، ص 220). ومن تقاطعهما أربع حالات (جدول 4).

	التزام: نعم	التزام: لا
استكشاف: نعم	**تحقيق الهوية:** اختار بعد بحث. للتوضيح: إلياس زار كليات، وتحدث إلى طلبتها، ثم اختار الإعلام الآلي وهو مقتنع	**تعليق الهوية:** يبحث ولم يختر بعد. للتوضيح: مريم تقارن بين الطب والصيدلة وتسأل عنهما، ولم تحسم
استكشاف: لا	**انغلاق الهوية:** التزم دون بحث. للتوضيح: يونس سجّل في الشعبة التي اختارها أبوه، ولم يسأل نفسه	**تشتت الهوية:** لا بحث ولا التزام. للتوضيح: رانية لا تفكر في المسألة، وتغير رأيها مع كل صديقة

جدول 4: حالات الهوية الأربع عند مارشا

الأمثلة من إعدادنا للتوضيح.. المصدر: Ricaud وآخرون، 2019، ص 220–221؛ Shaffer وKipp، 2010، ص 505؛ Miller، 2016، ص 149. الأمثلة من إعدادنا للتوضيح.

وتنبيه في المصطلح: **«المهلة» عند إريكسون غير «التعليق» عند مارشا.** المهلة فترة يسمح بها المجتمع، والتعليق حالة من الحالات الأربع، وإن سمّتهما الفرنسية والإنجليزية بكلمة واحدة (moratoire / moratorium).

ويقيس مارشا الحالات بمقابلة في ميادين، منها المهنة والدين والسياسة (Shaffer وKipp، 2010، ص 505).

ما تقوله البحوث

- **الحالات ليست مراحل متتابعة.** قد يعود الشخص إلى حالة سابقة في المنعطفات الكبرى، كالهجرة أو تغيير المهنة (Ricaud وآخرون، 2019، ص 221).
- **الهوية تتأخر عما ظن إريكسون.** في دراسة Meilman (1979) لم يحقق هويته إلا 4% من أبناء الخامسة عشرة، و20% من أبناء الثامنة عشرة (Shaffer وKipp، 2010، ص 505–506).
- **الاستكشاف ليس معاناة دائما.** من في حالة التعليق يشعرون بأنفسهم أحسن ممن في التشتت والانغلاق، ومحققو الهوية أعلى تقديرا لذواتهم، وأقدر على الألفة بعدها (Shaffer وKipp، 2010، ص 506). وتربط بحوث أخرى تحقيق الهوية بالتعلق الآمن (Arseth وآخرون، 2009، نقلا عن Miller، 2016، ص 149)، وهذا جسر إلى المحاور التالية.
- **دور الأسرة:** المشتتون أكثر شعورا بالإهمال أو الرفض، والمنغلقون قريبون من والدين متحكمين، أما من في التعليق والتحقيق فيجدون في البيت مودة مع حرية في الاختلاف (Shaffer وKipp، 2010، ص 507).
- **دور الثقافة:** اختيار الهوية بعد استكشاف طويل قد يكون خاصا بالمجتمعات الصناعية. وفي مجتمعات أخرى قد يكون الانغلاق أنسب طريق إلى الرشد (Shaffer وKipp، 2010، ص 508). ولا دراسة في المكتبة على مراهقين جزائريين أو مغاربيين.
- **تطوير النموذج:** في نماذج «ما بعد إريكسونية»، مثل نموذج الدورتين عند Luyckx وزملائه (2008)، لا تنتهي الهوية بقرار نهائي، وتبقى المراهقة وأول الرشد أنشط فتراتها (Ricaud وآخرون، 2019، ص 221–222).

مفاهيم مفتاحية

- **هوية الأنا** (identité du moi / ego identity): الثقة بأن استمرار المرء في نفسه يقابله استمرار معناه عند الآخرين.
- **أزمة الهوية** (crise d'identité / identity crisis): فقدان الإحساس بتماسك الذات واستمرارها، وتبلغ ذروتها في المراهقة.

- **تشتت الدور** (confusion des rôles / role confusion): القطب السلبي في المرحلة الخامسة، وهو العجز عن جمع التماهيات والأدوار في هوية واحدة.
- **المهلة النفسية الاجتماعية** (moratoire psychosocial / psychosocial moratorium): فترة يؤجل فيها المجتمع التزامات الراشد ويسمح بتجريب الأدوار.
- **الهوية السلبية** (identité négative / negative identity): تبني دور مرفوض اجتماعيا بدل البقاء بلا هوية.
- **حالات الهوية** (statuts identitaires / identity statuses): تصنيف مارشا للمراهقين بحسب الاستكشاف والالتزام: التحقيق، والتعليق، والانغلاق، والتشتت.

خلاصة المحور:

هوية الأنا عند إريكسون جسر بين ما يشعر به المراهق في داخله وما يعنيه عند الآخرين. والمعضلة الأساسية في المراهقة هي الهوية مقابل تشتت الدور، و«اضطراب الدورة» تحريف لها. والمجتمع يمنح المراهق مهلة ليجرب قبل أن يلتزم. ثم حول مارشا الفكرة إلى أربع حالات تقوم على الاستكشاف والالتزام. والبحوث تقول إن الهوية تتأخر، وتتأثر بالأسرة والثقافة.

مصادر هذا المحور: Erikson، 1963، ص 42 و235 و261–263 و279 و307؛ Ricaud وآخرون، 2019، ص 218–222؛ Shaffer وKipp، 2010، ص 504–508؛ Miller، 2016، ص 138 و149؛ Crain، 2014، ص 300 و313؛ Kazdin، 2000، م 3، ص 235، وم 4، ص 222.

للتعمق في الموقع: «نظرية إريكسون في النمو النفسي الاجتماعي» https://psyencharge.com/نظرية-النمو-النفسي-الاجتماعي/ و«إريك إريكسون: حياته ونظريته» https://psyencharge.com/alam/إريك-إريكسون/

8. بولبي: الأصول الإيثولوجية ونظام التعلق ومراحله

ما ستعرفه في هذا المحور:

- كيف انتقل بولبي من تقرير الحرمان إلى علم سلوك الحيوان.
- البصم وتجارب Harlow، ولماذا رفض بولبي نظرية الدافع الثانوي.
- التعلق وسلوك التعلق، والقاعدة الآمنة، ونظام الضبط.
- مراحل التعلق الأربع، والخوف من الغريب.

من الحرمان إلى سؤال «كيف؟»

جون بولبي (John Bowlby) بريطاني جمع الطب النفسي والتحليل النفسي (1907–1990)، وقضى مسيرته في عيادة تافيستوك بلندن. وقبلها درس جنوح الأحداث، ومن ذلك بحثه «أربعة وأربعون لصا صغيرا» (1944) (Kazdin، 2000، م 1، ص 445). وتفاصيل سيرته في صفحته بين أعلام الموقع.

ويروي بولبي أن منظمة الصحة العالمية طلبت مشورته سنة 1950 في الصحة النفسية للأطفال المشردين. وانتهى تقريره (1951) إلى مبدأ: صحة الطفل النفسية تحتاج علاقة دافئة حميمة لا تنقطع مع أمه، أو مع من يقوم مقامها على الدوام. لكنه يعترف بأن التقرير لم يجب عن سؤال: كيف يقع الضرر؟ والسبب عنده «الجهل» (Bowlby، 1982، ص xi–xii). ويجعل Crain التكليف سنة 1948 (Crain، 2014، ص 47)، والعبرة برواية بولبي نفسه. ثم لاحظ زميله James Robertson أطفالا في سنتهم الثانية والثالثة فُصلوا عن أمهاتهم في مستشفى، فرأى احتجاجا ثم يأسا ثم انفصالا عاطفيا (Bowlby، 1982، ص xii–xiii)، وتفصيلها في المحور 11.

وبقي إطاره تحليليا. كتب أنه يحرث حقل فرويد نفسه، لكنه دخله «من الركن المقابل»: لا يبدأ من عرض عند الراشد ويرجع إلى الطفولة، بل من حدث في الطفولة، هو فقد صورة الأم، ويتتبع آثاره إلى الأمام (Bowlby، 1982، ص xi و3–5).

البصم: ما يصح وما لا يصح

وجد بولبي أدواته في الإيثولوجيا (éthologie / ethology)، ويقال أيضا: علم سلوك الحيوان. ولاحظ Konrad Lorenz سنة 1935 أن فراخ الإوز تتبع بعد الفقس أول جسم متحرك تراه، أمها أو إنسانا أو علبة، ثم لا تتبع سواه. وهذا هو البصم (empreinte / imprinting)، ويسميه قنطار «الانطباع» (Bowlby، 1982، ص 211؛ قنطار، 1992، ص 24). وظنه Lorenz محصورا في فترة حرجة (période critique / critical period) لا يُرد أثرها، ثم تبين أن الحدود أقل حدة، فصار يقال: الفترة الحساسة (période sensible / sensitive period) (Bowlby، 1982، ص 167 و170).

ويقبل بولبي إدخال تعلق الرضيع تحت البصم «بمعناه العام الحالي» فقط، ويؤكد أن نموه عند الإنسان أبطأ بكثير (Bowlby، 1982، ص 222–223). فلا يصح القول إن الطفل «ينطبع» بأمه في ساعات كالإوز. ويحذر أيضا: الإنسان ليس قردا ولا فأرا، ولا يُقاس نوع على نوع إلا بحذر (Bowlby، 1982، ص 7).

نقد نظرية الدافع الثانوي

كانت النظرية السائدة أن حب الطفل لأمه ثمرة الإطعام: نظرية الدافع الثانوي (théorie de la pulsion secondaire / secondary drive theory). وقالها فرويد: «الحب أصله التعلق بالحاجة المشبعة إلى الغذاء» (Freud، 1940، نقلا عن Bowlby، 1982، ص 211). ويرد بولبي بأدلة:

- **قردة Harlow**: صغار رُبّوا مع أمّين بديلتين، من سلك ومن قماش. أيا كانت المرضعة، قضوا نحو خمس عشرة ساعة يوميا على القماشية، وساعة أو ساعتين على الأكثر مع السلكية. وإذا فزعوا جروا إلى القماشية، وفي غرفة غريبة استكشفوا انطلاقا منها (Bowlby، 1982، ص 214–215؛ قنطار، 1992، ص 30).
- **الجراء والحملان** تتعلق حتى بمن يعاقبها (Bowlby، 1982، ص 213).
- **عند الإنسان** الأدلة «غير حاسمة». لكن خمس صور التعلق الأولى في دراسة Schaffer و Emerson لم يشاركوا في الرعاية الجسدية أصلا، وكان أقوى ما يحدد الاختيار سرعة الاستجابة وحيوية التفاعل (Bowlby، 1982، ص 216–217).

فالتعلق عند بولبي دافع أولي كالجوع، لا هامش عليه (قنطار، 1992، ص 25). **ولا يُبنى بالإطعام**.

الوظيفة: الحماية

الوظيفة الأرجح للتعلق عند بولبي هي الحماية من المفترسين: المعزول أسهل صيدا، والتعلق أشد عند الأضعف، وأشد ما يكون عند الخطر (Bowlby، 1982، ص 226). وتخص هذه الوظيفة بيئة التكيف التطوري (environnement d'adaptation évolutionnaire / environment of evolutionary adaptedness)، أي البيئة التي عاش فيها الإنسان نحو مليوني سنة قبل الزراعة، وانتقت أنظمته السلوكية. ولا يقصد بولبي أنها أفضل من بيئتنا (Bowlby، 1982، ص 58–59).

التعلق وسلوك التعلق

هذا تعريف بولبي الذي يُسأل عنه كثيرا، وقد أوضحه في الطبعة الثانية:

- **التعلق** (attachement / attachment): ميل قوي عند الطفل إلى طلب القرب من شخص بعينه، وأشد ما يكون عند الخوف والتعب والمرض. صفة دائمة تتغير ببطء.
- **سلوك التعلق** (comportement d'attachement / attachment behaviour): كل ما يفعله ليبلغ هذا القرب، كالبكاء والنداء والتتبع والتشبث. يظهر ويختفي بحسب الظرف (Bowlby، 1982، ص 371–372).

والشخص المقصود صورة التعلق (figure d'attachement / attachment figure)، ويقال أيضا: موضوع التعلق. **وليست الاتكالية تعلقا**. فالرضيع في أسابيعه الأولى معتمد على أمه كليا وغير متعلق بها بعد، وابن السنتين عند غرباء متعلق بأمه وغير معتمد عليها. ثم إن «الاتكالي» ذم، و«المتعلق» بأهله مدح (Bowlby، 1982، ص 228–229).

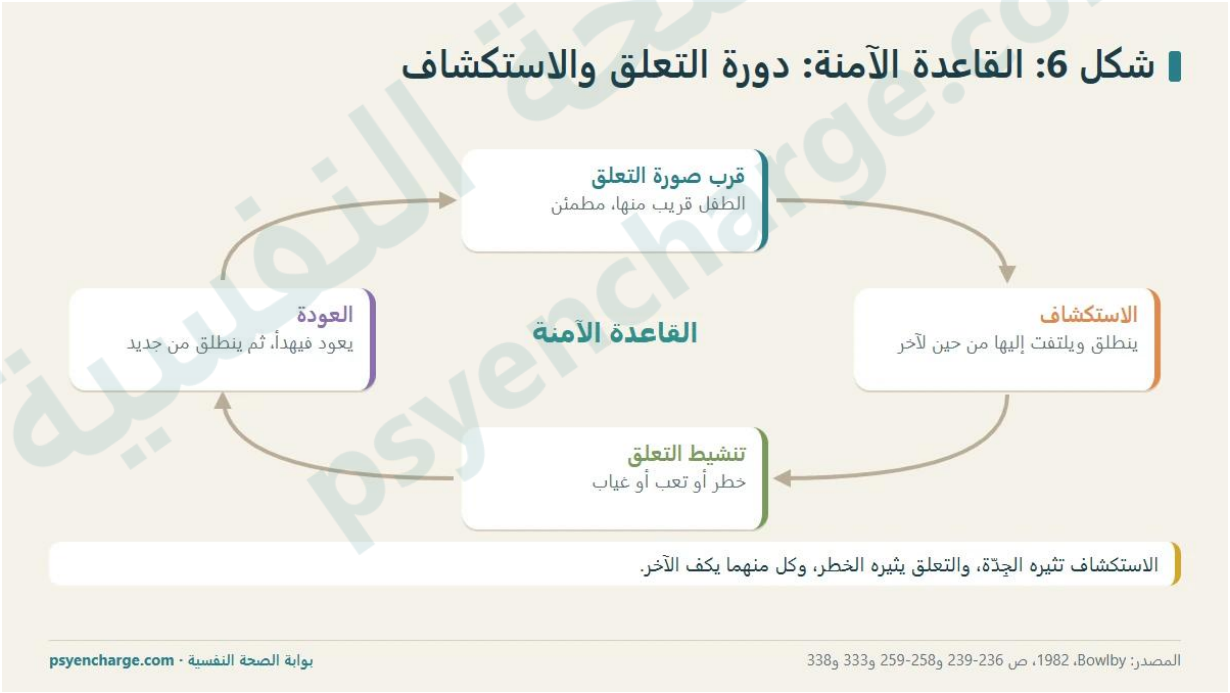
نظام الضبط والقاعدة الآمنة

فسر بولبي التعلق بنظام سلوكي يشبه نظام الضبط (système de contrôle / control system): منظم الحرارة يقارن الحرارة الفعلية بالمضبوطة ويعمل حتى يقرب بينهما (Bowlby، 1982، ص 42). وهدف التعلق

المحدد القرب من الأم. وبين الشهر التاسع والثامن عشر تقريبا تندمج أنماط المص والتشبث والتتبع والبكاء والابتسام في أنظمة مصححة الهدف (Bowlby، 1982، ص 180). ويشتد التعلق مع التعب والجوع والألم والمرض، ومع غياب الأم أو انصرافها، ومع الأحداث المفزعة. وكلما اشتد ضاقت شروط تهدئته: الخائف لا يهدأ إلا في الحضن، والمطمئن تكفيه رؤية أمه (Bowlby، 1982، ص 258–259).

للتوضيح: تلعب خديجة، وعمرها سنة ونصف، في صالة بيت جدتها، وتلتفت إلى أمها من حين لآخر. يسقط صحن في المطبخ، فتجري إلى حضن أمها، ثم تعود بعد دقيقة إلى لعبها.

هذا توازن بين سلوك التعلق والاستكشاف، وهو نظام تثيره الجِدّة ويوقفه الألف، وكل منهما يكف الآخر (Bowlby، 1982، ص 236–239). والأم التي ينطلق منها الطفل ويعود إليها هي القاعدة الآمنة (base de sécurité / secure base)، ويقال أيضا: قاعدة أمنية. والمفهوم من أينسورث، واستعمله بولبي (Bowlby، 1982، ص 333 و338؛ قنطار، 1992، ص 42). وتفصيلها في المحور 9.



شكل 6: القاعدة الآمنة: دورة التعلق والاستكشاف

مراحل نمو التعلق الأربع

التعلق يُبنى بعد الولادة في أربع مراحل لا حدود حادة بينها (Bowlby، 1982، ص 266). والأسماء القصيرة من الكتب الجامعية، والأعمار من بولبي (شكل 7):

1. **ما قبل التعلق:** عنوانها عند بولبي «التوجه والإشارات مع تمييز محدود للشخص». يبتسم الرضيع لأي أحد ويتتبعه بعينيه، ويميز بالشم والسمع فقط. من الولادة إلى ثمانية أسابيع على الأقل، والغالب اثنا عشر (Bowlby، 1982، ص 266).
2. **التعلق قيد التكوين:** «التوجه والإشارات نحو شخص مميَّز أو أكثر». استجابته لأمه أوضح، حتى الشهر السادس تقريبا (Bowlby، 1982، ص 266).
3. **التعلق الواضح:** «حفظ القرب من شخص مميَّز بالحركة والإشارات». يتبع أمه، ويستقبلها، ويستكشف انطلاقا منها، ويحذر من الغرباء. من الشهر 6 أو 7 إلى السنة الثالثة (Bowlby، 1982، ص 267).
4. **الشراكة المصححة الهدف:** يفهم الطفل أن لأمه أهدافها، فيتفاوضان. تبدأ عند بعض الأطفال في منتصف السنة الثالثة (Bowlby، 1982، ص 267–268). ويجعلها Crain من الثالثة إلى آخر الطفولة (Crain، 2014، ص 55).

ويبقى التعلق بعد ذلك، وتتغير وسائله وصوره مدى الحياة (Bowlby، 1982، ص 350).

بوابة الصحة النفسية psyencharge.com



شكل 7: مراحل نمو التعلق الأربع عند بولبي

ويميل الطفل إلى توجيه تعلقه أساسا إلى شخص واحد، وهي الأحادية (monotropie / monotropy). لكن بولبي لا يقول إنه لا يتعلق إلا بأمه: في الشهر الثامن عشر لم يبق بصورة واحدة إلا 13% من رضع Schaffer وEmerson (Bowlby، 1982، ص 304 و309). وتفصيل تعدد الصور في المحور 10.

الخوف من الغريب، ونقد بولبي لـSpitz

يظهر الخوف من الغريب (peur de l'étranger / fear of strangers) عند أغلب الرضع نحو الشهر الثامن، وعند قلة قبل ذلك أو بعده (Bowlby، 1982، ص 324). وكان René Spitz يسميه «قلق الشهر الثامن»، ويرى أن العلاقة الحقيقية بالموضوع لا تقوم قبله. ونصوص Spitz غائبة، فموقفه هنا من نقد بولبي له. ويرد بولبي بأن الرضيع يميز أمه ويُظهر سلوك التعلق قبل الشهر الثامن بكثير، وبأن Spitz خلط الخوف من الغريب بقلق الانفصال (angoisse de séparation / separation anxiety)، وهما استجابتان مختلفتان (Bowlby، 1982، ص 327–328).

ومن النقد

- وظيفة الحماية ترجيح لا إثبات، وبولبي يقر بذلك (Bowlby، 1982، ص 227–228). ولا أحافير للسلوك تشهد عليها (Miller، 2016، ص 240).
- لا تشرح النظرية كيف تبدأ الفترات الحساسة وتنتهي (Miller، 2016، ص 239). ومتابعة أطفال الملاجئ الرومانية المتبنَّين تشير إلى حد قرب الشهر السادس، ويقر Dozier و(2008) Rutter بأن الأمر لم يُحسم (Crain، 2014، ص 56–57).
- عواقب الانفصال والفقد لم تكن «آلية» كما افترض بولبي (Kazdin، 2000، م 1، ص 446).

مفاهيم مفتاحية

- **البصم** (empreinte / imprinting): تعلم سريع يجعل الصغير يتبع أول جسم متحرك ويفضله، في فترة حساسة.
- **نظرية الدافع الثانوي** (théorie de la pulsion secondaire / secondary drive theory): القول إن الطفل يتعلق بأمه لأنها تطعمه، وقد رفضها بولبي.
- **التعلق** (attachement / attachment): ميل دائم إلى طلب القرب من شخص بعينه عند الخوف أو التعب أو المرض.
- **سلوك التعلق** (comportement d'attachement / attachment behaviour): كل سلوك يبلغ به الطفل القرب أو يحفظه.
- **القاعدة الآمنة** (base de sécurité / secure base): صورة التعلق التي ينطلق منها الطفل ليستكشف ويعود إليها.
- **الأحادية** (monotropie / monotropy): ميل الطفل إلى توجيه تعلقه أساسا إلى شخص واحد.

خلاصة المحور:

بدأ بولبي من تقرير عن الحرمان لم يفسر كيف يقع الضرر، فوجد التفسير في الإيثولوجيا. ورفض أن يكون الحب ثمرة الإطعام، بأدلة من Harlow وLorenz ورضع الأسر. والتعلق عنده نظام فطري وظيفته الحماية، يعمل كنظام ضبط هدفه القرب، ويتوازن مع الاستكشاف حول قاعدة آمنة. وينمو في أربع مراحل، من إشارات للجميع إلى شراكة مع الأم. وبقي معلقا أن وظيفته ترجيح، وأن فترته الحساسة عند الإنسان غير محسومة.

مصادر هذا المحور: Bowlby، 1982، ص xi–xiii و3–7 و42 و58–59 و167–170 و180 و211–229 و236–239 و258–259 و266–268 و304–309 و324–328 و333–338 و350 و371–372؛ قنطار، 1992، ص 24–25 و30 و42؛ Crain، 2014، ص 47 و55–57؛ Miller، 2016، ص 239–240؛ Kazdin، 2000، م 1، ص 445–446.

للتعمق في الموقع: «جون بولبي: حياته ونظرية التعلق» https://psyencharge.com/alam/جون-بولبي/

و«نظرية التعلق» https://psyencharge.com/نظرية-التعلق/

بوابة الصحة النفسية
psyencharge.com

9. أينسورث: الموقف الغريب وأنماط التعلق

ما ستعرفه في هذا المحور:

- كيف تجري حلقات الموقف الغريب الثماني، وما الذي يلاحظه الباحث في كل منها.
- الأنماط الثلاثة الأصلية ومجموعاتها الفرعية، ثم النمط غير المنظم الذي أضيف بعدها.
- ما علاقة نمط الرضيع بحساسية أمه في البيت.
- حدود الإجراء: المزاج، والثقافة، والفرق بين النمط والسمة.

من البيت إلى المختبر

لم تبدأ ماري أينسورث (Mary Ainsworth) بالمختبر. بدأت بالبيت، في أوغندا ثم في بالتيمور، ودراسة بالتيمور امتداد لملاحظاتها الأولى في أوغندا (Waters وآخرون، 2015، ص xi). ففي بالتيمور زار فريقها 23 أسرة من الطبقة الوسطى زيارات منتظمة طوال السنة الأولى، ودونوا كيف تتعامل الأم مع رضيعها (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 135). ثم احتاجت إلى إجراء قصير يكشف في دقائق ما تكشفه الزيارات في شهور. فصممت الموقف الغريب (situation étrange / Strange Situation)، ويسميه قنطار «الوضعية الغريبة» (قنطار، 1992، ص 46–47).

والفكرة بسيطة. الرضيع في البيت لا يحتاج كثيرا إلى أمه، فلا يظهر نظام التعلق بوضوح. أما في غرفة غريبة، ومع امرأة لا يعرفها، وبعد غياب الأم مرتين، فيرتفع الضغط تدريجيا، ويظهر كيف يوازن الطفل بين الاستكشاف والبحث عن القرب (Brumariu وKerns، 2011، ص 322).

والعينة الكاملة 106 رضيعا في سن السنة تقريبا، من أسر بيضاء من الطبقة الوسطى، جُمعت في أربع عينات متتالية (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 31).

الحلقات الثماني

الإجراء ثماني حلقات (épisode / episode)، مدة أغلبها ثلاث دقائق، في غرفة فيها ألعاب وكرسيان (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 36–39):

1. الملاحظ يُدخل الأم والرضيع إلى الغرفة ثم يخرج (نصف دقيقة).

2. الأم والرضيع وحدهما. الأم تقرأ ولا تبادر، والرضيع يستكشف.

3. تدخل الغريبة. تصمت دقيقة، ثم تحادث الأم دقيقة، ثم تقترب من الرضيع. وفي آخرها تخرج الأم بهدوء.

4. الانفصال الأول: الغريبة مع الرضيع، وتكيّف سلوكها على سلوكه.

5. اللقاء الأول: تعود الأم، فتحيي الرضيع وتهدئه ثم تعيده إلى اللعب، ثم تخرج وتقول «إلى اللقاء».

6. الانفصال الثاني: الرضيع وحده.

7. تعود الغريبة وتبقى معه.

8. اللقاء الثاني: تعود الأم وتحمله، وتخرج الغريبة.

وتُختصر حلقات الانفصال إذا اشتد ضيق الرضيع، وتُطال حلقة اللقاء إذا احتاج وقتا ليعود إلى اللعب (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 37).



شكل 8: حلقات الموقف الغريب الثماني

وما الذي يُلاحظ؟ في الحلقة 2 مقدار الاستكشاف. وفي 3 موقفه من الغريبة. وفي 4 و6 ردّه على الغياب: البكاء والبحث. لكن أهم ما في الإجراء حلقتا اللقاء. فقد انتقل وزن التصنيف من سلوك الرضيع أثناء الانفصال

إلى سلوكه تجاه أمه عند عودتها، لأن اللقاء هو ما أعطى أوضح تجمعات للسلوك (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 58).



سلوك الرضيع عند عودة أمه أهم ما يُصنف به نمط تعلقه (صورة توضيحية).

المصدر العلمي للموقف: Ainsworth وآخرون، 1978، ص 36–39 و58.

الأنماط الثلاثة الأصلية

وضعت أينسورث وزملاؤها ثلاث مجموعات كبرى، ولكل منها مجموعات فرعية (sous-groupes / subgroups) (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 58–62):

- **التعلق الآمن (النمط B)** (attachement sécurisant / secure attachment): يستكشف الرضيع بحرية والأم حاضرة. قد يبكي عند غيابها وقد لا يبكي، لكنه عند عودتها يحييها ويطلب قربها أو تواصلها، فإذا حمِلته هدأ وعاد إلى اللعب. ولا يجمع بين الطلب والرفض. وفيه أربع مجموعات فرعية، من B1 الذي يكتفي بالتحية من بعيد، إلى B4 القلق طوال الإجراء.
- **التعلق القلق التجنبي (النمط A)** (anxieux-évitant / anxious-avoidant): يلعب كأن الأم غير موجودة، وقليلا ما يبكي عند غيابها. وعند عودتها يتجاهلها أو يدير وجهه أو يمر بجانبها. وإذا حُمل لم

يتشبث، وقد يتلوى لينزل. ويسميه بعضهم «التعلق التجنبي». وهذا جواب من يسأل عن «التعلق التجنبي»: هو وصف لسلوك رضيع في حلقتي اللقاء، لا وصف لشخص بارد.

- **التعلق القلق المقاوم (النمط C)** (anxieux–résistant / anxious–resistant)، ويقال أيضا: المتناقض: قلق حتى قبل الانفصال، قليل الاستكشاف، شديد الضيق عند الغياب. وعند اللقاء يطلب الأم ويقاومها في الوقت نفسه، بغضب ظاهر في المجموعة C1، وبسلبية في C2.

والتوزيع في بالتيمور: 23 في A، و70 في B، و13 في C، من 106 (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 97). ويذكر بولبي أن النسب في أغلب العينات اللاحقة قريبة: نحو 20% في A، ونحو 10% في C، والباقي في B (Bowlby، 1982، ص 338).

تنبيه: «غير آمن» اسم جامع للأنماط A وC وD. وهو نمط علاقة لا اضطراب، والفرق مفصل في المحور 11.

النمط الرابع: غير المنظم

في بالتيمور ظهرت سلوكات غريبة قليلة لم يفهمها الفريق، فلم تُجعل نمطا. وبعدها أضافت Main و Solomon (1986) نمطا رابعا هو التعلق غير المنظم (النمط D) (désorganisé–désorienté / disorganized/disoriented). وعلامته سلوكات متناقضة أو خائفة أو متقطعة تجاه الحاضن عند اللقاء: يقترب ثم يبتعد فجأة، أو يتجمد شاردا. وكان نادرا في بالتيمور، لكنه كثير في عينات الأطفال المعرضين لسوء المعاملة (Waters وآخرون، 2015، ص xxxi). ونسبته نحو 5% من الرضع الأمريكيين (Shaffer وKipp، 2010، ص 456). وترى Main أن الرضيع هنا يخاف ممن يلجأ إليه، فلا يعرف أيقترب أم يهرب (Main وSolomon، 1990، نقلا عن Shaffer وKipp، 2010، ص 460–461). ونص Main وSolomon غائب عن المكتبة، فكل ما هنا عن وسيط.

	الآمن (B)	القلق التجنبي (A)	القلق المقاوم (C)	غير المنظم (D)
الاستكشاف والأم حاضرة	نشط	نشط، مع تجاهل الأم	قليل، مع قلق	متفاوت
عند الانفصال	قد يبكي، ويقل لعبه	قليل الضيق في الظاهر	ضيق شديد	متفاوت

	الآمن (B)	القلق التجنبي (A)	القلق المقاوم (C)	غير المنظم (D)
عند اللقاء	يطلب القرب ويهدأ ثم يعود إلى اللعب	يتجاهل الأم أو يتجنبها	يطلب القرب ويقاومه بغضب أو سلبية	سلوك متناقض أو خائف أو تجمد
الأم في البيت (بالتيمور)	أكثر حساسية وقبولا وتعاونا	الأكثر رفضا، ونفور من التلامس	أقل استجابة للبكاء، دون رفض	لم يُدرس في بالتيمور؛ يرتبط في البحوث اللاحقة بالإهمال أو الإساءة
النسبة	70 من 106 في بالتيمور	23 من 106	13 من 106	نحو 5% في عينات أمريكية
ما وُجد لاحقا	تعاون أكثر، ولعب أغنى	قد يخفي استثارة عالية	تأخر في الاستكشاف والحل	كثير عند الأطفال المساء إليهم

جدول 5: أنماط التعلق A وB وC وD

المصدر: Ainsworth وآخرون، 1978، ص 58–62 و97 و144 و304–310؛ Bowlby، 1982، ص 362؛ Shaffer وKipp، 2010، ص 456 و460–461؛ Waters وآخرون، 2015، ص xxxi؛ Johnson، 2019، ص 9.

النمط وحساسية الأم في البيت

السؤال الذي شغل أينسورث: من أين تأتي هذه الفروق؟ فقارنت سلوك الرضع في المختبر بسلوك أمهاتهم في البيت. والمقياس الأهم عندها «الحساسية للإشارات». الأم الحساسة ترى الأمور من وجهة نظر رضيعها: تلتقط إشاراته، وتفهمها فهما صحيحا، وتستجيب لها استجابة مناسبة وفي وقتها (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 140). وهذه حساسية الأم (sensibilité maternelle / maternal sensitivity).

والنتيجة واضحة. أمهات النمط B أكثر حساسية وقبولا وتعاونا وحضورا من أمهات A وC. وأمهات A أكثرهن رفضا، وكثيرا ما ينفرن من التلامس الجسدي. أما أمهات C فأقل استجابة للبكاء، لكنهن لا يرفضن الرضيع (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 144 و307). وتفسر أينسورث مفارقة النمط A: رضيع يبكي كثيرا في البيت، ولا يبكي في المختبر. فتجنبه عند اللقاء دفاع يحميه من رفض تعلّم أن يتوقعه (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 309–310).

للتوضيح: يبكي أنس في سريره. تأتي أمه، فتنظر هل هو جائع أم متعب، ثم تحمله أو تطعمه. يتكرر هذا مئات المرات، فيتعلم أنس أن إشارته تُسمع. ويبكي آخر، فتأتيه أمه حين تفرغ من شغلها، أو تحمله وهي تتأفف. والفرق ليس في الحب. الفرق في ملاءمة الاستجابة لإشارة الطفل.

حدود الإجراء

ومن النقد ثلاثة أمور.

المزاج. رأى Kagan أن الموقف الغريب يقيس مزاج الرضيع (tempérament / temperament) لا علاقته بأمه (Kagan، 1984، نقلا عن Shaffer وKipp، 2010، ص 461). لكن Shaffer وKipp يذكران أن كثيرا من الرضع آمنون مع أحد الوالدين وغير آمنين مع الآخر، وأن تدريب أمهات رضع «صعبي المزاج» على الحساسية جعل أغلبهم آمنين (Shaffer وKipp، 2010، ص 463).

الثقافة. تختلف النسب من بلد إلى آخر. ففي شمال ألمانيا يكثر النمط A لأن الأسر تشجع الاستقلال، وفي اليابان يكثر النمط C لأن الرضيع نادرا ما يُترك مع غير أمه (Shaffer وKipp، 2010، ص 457). ولذلك يكتب Waters وزميلاه أن كل استعمال للإجراء في عينة تختلف عن بالتيمور يحتاج أولا إلى التحقق من صلته بسلوك القاعدة الآمنة في البيت (Waters وآخرون، 2015، ص xxx). ولا توجد في المكتبة دراسة للموقف الغريب على أطفال جزائريين أو مغاربيين.

النمط ليس سمة. يصنف الإجراء علاقة بعينها، لا طفلا. فتصنيف الرضيع مع أمه قد يختلف عن تصنيفه مع أبيه (Waters وآخرون، 2015، ص xxxii).

مفاهيم مفتاحية

- **الموقف الغريب** (situation étrange / Strange Situation): إجراء مخبري من ثماني حلقات وضعته أينسورث لتصنيف علاقة الرضيع بحاضن معين.
- **التعلق الآمن** (attachement sécurisant / secure attachment) **(B)**: يستعمل الرضيع الحاضن قاعدة للاستكشاف، ويطلبه عند الضيق ويهدأ به.
- **التعلق القلق التجنبي** (anxieux-évitant / anxious-avoidant) **(A)**: تجاهل الحاضن أو تجنبه عند اللقاء.
- **التعلق القلق المقاوم** (anxieux-résistant / anxious-resistant) **(C)**: طلب القرب ومقاومته معا، مع ضيق شديد.

- **التعلق غير المنظم** (désorganisé–désorienté / disorganized/disoriented) **(D)**: سلوك متناقض أو خائف عند اللقاء، أضافته Main وSolomon.
- **حساسية الأم** (sensibilité maternelle / maternal sensitivity): التقاط إشارات الرضيع وفهمها والاستجابة لها في وقتها.

خلاصة المحور:

حولت أينسورث ملاحظات بيتية طويلة إلى إجراء من ثماني حلقات، يرفع الضغط على الرضيع تدريجيا، ويحكم على علاقته بأمه من سلوكه عند عودتها. فخرجت ثلاثة أنماط: آمن، وقلق تجنبي، وقلق مقاوم، ثم أضافت Main وSolomon النمط غير المنظم. وارتبط النمط في بالتيمور بحساسية الأم في البيت. لكن النمط يصف علاقة لا طفلا، ولا يصح نقله إلى ثقافة أخرى دون تحقق، ولا يُعد اضطرابا.

مصادر هذا المحور: Ainsworth وآخرون، 1978، ص 31 و36–39 و58–62 و97 و135 و140 و144 و307–310؛ Waters وآخرون، 2015، ص xi وxxx–xxxii؛ Bowlby، 1982، ص 338 و362؛ Shaffer وKipp، 2010، ص 456–463؛ Brumariu وKerns، 2011، ص 322؛ قنطار، 1992، ص 46–47.

للتعمق في الموقع: «نظرية التعلق» https://psyencharge.com/نظرية-التعلق/ و«جون بولبي: حياته ونظرية التعلق» https://psyencharge.com/alam/جون-بولبي/

10. التعلق عبر العمر: النماذج العاملة، والراشد، وتعدد صور التعلق

ما ستعرفه في هذا المحور:

- ما النماذج العاملة الداخلية، ولماذا تفسر الاستمرار والتغير معا.
- كيف يتغير التعلق في الطفولة المتوسطة، وكيف يُقاس عند الراشد.
- لماذا لا يكون للطفل صورة تعلق واحدة: الأب، والإخوة، والجدة، والمربية.
- ما يصح وما لا يصح في القول بالانتقال بين الأجيال.

النماذج العاملة الداخلية

كيف تبقى خبرة السنة الأولى حاضرة بعد سنوات؟ جواب بولبي في المجلد الثاني: يبني كل فرد نماذج عاملة داخلية (modèles internes opérants / internal working models)، أي صورا ذهنية للعالم ولنفسه فيه، يدرك بها الأحداث ويتوقع ما سيأتي (Bowlby، 1973، ص 236). وأهم ما في نموذج العالم: من صور تعلقي، وأين أجدها، وكيف ستستجيب. وأهم ما في نموذج الذات: هل أنا مقبول في عين من أحب؟

والنموذجان متكاملان ويؤكد أحدهما الآخر. فالطفل غير المرغوب فيه يشعر أن والديه لا يريدانه، ثم يعتقد أنه غير قابل لأن يُراد أصلا. والطفل المحبوب يتوقع أن يحبه الآخرون أيضا. ويقر بولبي بأن هذا التعميم غير منطقي، لكنه القاعدة (Bowlby، 1973، ص 238). ومن هنا قوة النماذج: إنها تنقل علاقة واحدة إلى علاقات كثيرة.

الاستقرار والتغير

هل يبقى النمط ثابتا؟ بين الشهر 12 والشهر 18 بقي نمط 81% من الرضع في دراسة Connell، و96% في دراسة Waters. لكن في عينة من أسر فقيرة غير مستقرة تغير نمط الثلث في ستة أشهر، مع أحداث ضاغطة عاشتها الأمهات (Bowlby، 1982، ص 361–362 و365). ويستنتج بولبي أن الاستقرار في البداية خاصية للثنائي أكثر منه للطفل، ثم يصير تنظيما داخليا يقاوم التغير كلما تقدم العمر (Bowlby، 1982، ص 365).

وتلخص Brumariu وKerns البحوث الحديثة: استقرار متوسط من الرضاعة إلى ما بعدها، والآمن أثبت الأنماط، والتحول يرافق غالبا تغيرا في التفاعل أو فقدا (Brumariu وKerns، 2011، ص 324). فالأثر المبكر حقيقي، لكنه ليس قدرا.

في الطفولة المتوسطة والمراهقة

يقل سلوك التعلق الظاهر في الطفولة المتوسطة (7 إلى 12 سنة)، ويصير هدف النظام أن تكون صورة التعلق متاحة لا قريبة (Brumariu وKerns، 2011، ص 320–321). لكن الوالدين يبقيان الملجأ الأول، فأطفال هذه السن يفضلونهما على الأتراب في مواقف الخوف والحزن. ويتغير القياس مع العمر: نسخ معدلة من الموقف الغريب، ثم قصص يكملها الطفل بالدمى، ثم مقابلات (Brumariu وKerns، 2011، ص 322–323).

التعلق عند الراشد

هنا يكثر سؤال القارئ: «ما نمط تعلقي؟». وفي الجواب اتجاهان.

مقابلة تعلق الراشد (Adult Attachment Interview, AAI) أداة وضعتها Mary Main وزملاؤها. يتحدث فيها الراشد عن طفولته مع والديه، والمهم تماسك حديثه لا ما حدث. فيصنف «آمنا مستقلا» أو «متجاهلا» أو «منشغلا» أو «غير محلول»، كما في الجدول 6 (Siegel، 2012، ص 99). والعرض هنا من وسيط، لأن نصوص Main وزملائها غائبة عن المكتبة.

استبيانات العلاقة العاطفية. يقيس هذا الاتجاه بعدين: القلق والتجنب. والآمن من انخفض عنده البعدان معا (Johnson، 2019، ص 235). وتصف Johnson الاستراتيجيتين غير الآمنتين: القلق يرفع الإشارة ويلح لينال الطمأنة، والتجنب يخفضها ويعتمد على النفس اعتمادا قسريا (Johnson، 2019، ص 8–9). ودراسة Hazan وShaver (1987)، أصل هذا الاتجاه، غائبة عن المكتبة.

نمط الرضيع (الموقف الغريب)	صورة الذات وصورة الآخر كما تُفهم من النمط	الراشد في مقابلة تعلق الراشد	الراشد في استبيانات العلاقة	أداة القياس
آمن (B)	أنا أستحق العناية، والآخر متاح	آمن مستقل: حديث متماسك	قلق منخفض وتجنب منخفض	الموقف الغريب؛ AAI؛ ECR-R
قلق تجنبي (A)	لا أنتظر الكثير، والآخر يرفض الاقتراب	متجاهل: حديث مقتضب يمجد دون أمثلة	تجنب مرتفع	كذلك
قلق مقاوم (C)	لست متأكدا أني أستحق، والآخر غير ثابت	منشغل: حديث طويل مشحون	قلق مرتفع	كذلك
غير منظم (D)	الآخر مصدر الخوف وملجؤه معا	غير محلول عند ذكر الفقد أو الصدمة	يقابله «التجنب الخائف»	كذلك

جدول 6: النماذج العاملة وأنماط الراشد وأدوات قياسها

للفهم لا للتشخيص الذاتي.. المصدر: Bowlby، 1973، ص 236 و238؛ Siegel، 2012، ص 99؛ Johnson، 2019، ص 8–9 و235. العمود الثاني من صياغتنا لما في Bowlby، ولا يُستعمل لتصنيف شخص.

وأسلوب الراشد قد يختلف من شريك إلى آخر، ويتغير بخبرات جديدة (Johnson، 2019، ص 233). والاستبيان يقيس ما يعيه الراشد عن نفسه، والمقابلة تقيس طريقة حديثه، فليسا شيئا واحدا. ولا يصح أن «يشخص» القارئ نفسه بنمط من مقال أو اختبار سريع.

الانتقال بين الأجيال

هل ينقل الوالد نمطه إلى طفله؟ يرى بولبي أن الأطفال يتبنون، حين يصيرون آباء، أنماط التعامل التي عاشوها، فتنتقل الصحة النفسية واضطرابها عبر «ثقافة الأسرة». لكنه يعترف بأن الأدلة غير كافية (Bowlby، 1973، ص 367). وبعده أظهرت البحوث أن تصنيف الوالد في AAI يوافق نمط رضيعه في 65% إلى 85% من الحالات، حتى حين تُجرى المقابلة قبل الولادة (Siegel، 2012، ص 108). ويحذر قنطار من تعميم نتائج انتقال سوء المعاملة بين الأجيال، لأنها مأخوذة من حالات عيادية متطرفة (قنطار، 1992، ص 148).

فالانتقال اتجاه احتمالي، لا مصير.

تعدد صور التعلق

فكرة الرابطة الواحدة مع الأم يصفها قنطار بأنها «مفهوم رومانسي وجذاب» في بساطته (قنطار، 1992، ص 195). وبولبي نفسه نقل دراسة Schaffer وEmerson على 58 رضيعا اسكتلنديا: 29% وجهوا سلوك التعلق إلى أكثر من شخص منذ بدايته (Bowlby، 1982، ص 304). وأكثر الصور الثانوية الأب والإخوة الكبار، ثم الجدة ومن يعيش في البيت (Bowlby، 1982، ص 307). والصورة الرئيسية غالبا الأم، لكن يمكن أن يقوم بدورها غيرها إذا عامل الطفل معاملة أمومية (Bowlby، 1982، ص 306).

- **الأب:** يتعلق الرضيع بوالديه في الوقت نفسه تقريبا، وتظهر علاقة الأب أكثر في اللعب الحركي والتحفيز (Papalia وMartorell، 2018، ص 148).
- **الإخوة:** يلاحظ قنطار أن الإخوة الكبار في الأسرة العربية قد يقومون بدور الوالدين للصغار إذا اتسع فارق السن، ويدعو إلى دراسة ذلك (قنطار، 1992، ص 206 و208).
- **الحضانة والمربية:** يمكن أن تصير المربية صورة تعلق ثانوية. والطفل الآمن مع مربيته أكثر استكشافا، وقد يخفف ذلك أثر تعلق غير آمن بالأم (Papalia وMartorell، 2018، ص 149).

إطار: ماهلر والانفصال والتفرد

نظرت Margaret Mahler إلى المسألة من داخل التحليل النفسي، بملاحظة 38 ثنائيا من الأمهات والأطفال الأسوياء بين 1959 و1968 (Crain، 2014، ص 318). والانفصال عندها نمو نفسي داخلي، لا غياب الأم: أن يدرك الطفل أنه شخص مستقل عنها. ومراحلها كما في Crain: التكافل (1 إلى 5 أشهر)، ثم التمايز (5 إلى 9)، ثم التمرن (9 إلى 15)، ثم التقارب من جديد (15 إلى 24)، وفيه يتردد الطفل بين «لا» والتشبث. ثم بدايات ثبات الموضوع (24 إلى 30 شهرا)، حين يحمل في داخله صورة أم تبقى معه في غيابها (Crain، 2014، ص 318 و323–324). ونصوصها غائبة عن المكتبة، والعرض كله من Crain.

مفاهيم مفتاحية

- **النماذج العاملة الداخلية** (modèles internes opérants / internal working models): صور ذهنية متكاملة عن صور التعلق وعن الذات، يتوقع بها الفرد استجابة الآخرين.
- **مقابلة تعلق الراشد** (Adult Attachment Interview, AAI): مقابلة عن الطفولة تصنف الراشد بتماسك حديثه.
- **الانتقال بين الأجيال** (transmission intergénérationnelle / intergenerational transmission): تشابه نمط الوالد ونمط طفله، وهو اتجاه احتمالي.

- **تعدد صور التعلق** (figures d'attachement multiples / multiple attachment figures): للطفل صورة رئيسية وصور ثانوية، منها الأب والإخوة والجدة والمربية.
- **الانفصال والتفرد** (séparation-individuation / separation-individuation): عند ماهلر، إدراك الطفل التدريجي أنه مستقل عن أمه.

خلاصة المحور:

تحمل النماذج العاملة الداخلية خبرة التعلق من علاقة إلى أخرى، فتفسر الاستمرار. لكنها تتعدل، والنمط يتغير حين تتغير الرعاية أو تقع أحداث كبيرة. ويقل سلوك التعلق الظاهر في الطفولة المتوسطة ويبقى الوالدان ملجأ أول. وعند الراشد يُقاس التعلق بمقابلة عن الطفولة أو باستبيانات للقلق والتجنب، وكلاهما لا يصلح للتشخيص الذاتي. وللطفل صور تعلق عدة، والانتقال بين الأجيال احتمال لا قدر.

مصادر هذا المحور: Bowlby، 1973، ص 236 و238 و367؛ Bowlby، 1982، ص 304-307 و361-365؛ Brumariu و Kerns، 2011، ص 320-324؛ Siegel، 2012، ص 99 و108؛ Johnson، 2019، ص 8-9 و233 و235؛ Papalia و Martorell، 2018، ص 148-149؛ قنطار، 1992، ص 148 و195 و206 و208؛ Crain، 2014، ص 318 و323-324.

للتعمق في الموقع: «ملخص كتاب Hold Me Tight» https://psyencharge.com/book-summaries/ملخص-كتاب-hold-me-tight/. وللراشد فقط، مع التنبيه إلى أنهما ليسا من نظرية التعلق الأصلية: «الاعتمادية العاطفية» https://psyencharge.com/الاعتمادية-العاطفية/ و«الرابطة الصدمية» https://psyencharge.com/الرابطة-الصدمية/

11. الانفصال والحرمان واضطرابا التعلق

ما ستعرفه في هذا المحور:

- مراحل استجابة الطفل الصغير للانفصال عن أمه، وما يخفف شدتها.
- التعلق القلق عند بولبي والظروف التي تولده، ومنها التهديد بالهجر.
- معايير اضطراب التعلق التفاعلي واضطراب الانخراط الاجتماعي غير المكبوح، وتشخيصهما الفارقي.
- الفرق بين نمط غير آمن واضطراب، ومعنى الصمود.

الاحتجاج، ثم اليأس، ثم الانفصال العاطفي

بدأت نظرية التعلق من مشهد الطفل المفصول عن أمه، كما مر في المحور 8. لاحظ Robertson أطفالا بين 15 و30 شهرا وُضعوا في مستشفيات ودور رعاية، وكانت علاقتهم بأمهاتهم جيدة، ولم يفارقوها قبل ذلك. فوجد معهم بولبي تسلسلا متكررا من ثلاث مراحل (Bowlby، 1982، ص 27–28):

- **الاحتجاج** (protestation / protest): يبدأ فورا أو بعد قليل، ويدوم من ساعات إلى أسبوع أو أكثر. يبكي الطفل بصوت عال، ويهز سريره، ويتطلع إلى كل صوت قد يكون صوت أمه، ويرفض من يقترب منه.
- **اليأس** (désespoir / despair): يبقى منشغلا بأمه، لكن الأمل يخبو. تقل حركته، ويبكي بكاء رتيبا، وينسحب. ويُظن خطأ أن ضيقه قل لأنه هدأ.
- **الانفصال العاطفي** (détachement / detachment)، ويقال أيضا: الانسلاخ: يعود يهتم بما حوله، ويقبل الممرضات، وقد يبتسم. فيُظن أنه شُفي. لكن حين تزوره أمه يبدو كأنه لا يعرفها.

ويسمي قنطار المراحل «الاحتجاج، وفقدان الأمل، وتلاشي التعلق» (قنطار، 1992، ص 174). والمراحل متداخلة، وقد يبقى الطفل أياما بين مرحلتين.



شكل 9: الاحتجاج، ثم اليأس، ثم الانفصال العاطفي

وبعد العودة إلى البيت، أظهر كل الأطفال العشرة في دراسة Heinicke وWestheimer شيئا من الانفصال العاطفي عن الأم في اللقاء الأول، وطال بطول الغياب. ثم تلته غالبا مرحلة ازدواج: يتشبث الطفل ويبكي إن تُرك، ويعاند ويعادي في الوقت نفسه (Bowlby، 1973، ص 30–31).

ما يخفف الانفصال

ليست شدة الاستجابة قدرا. يذكر بولبي عاملين هما الأقوى أثرا: رفيق مألوف أو أشياء مألوفة، ورعاية أمومية من بديل. وإذا اجتمعا، كما حين ترعى الجدة الطفل في البيت، كان الاضطراب في أدناه (Bowlby، 1973، ص 35). وحين استقبل James وJoyce Robertson في بيتهما أربعة أطفال عرفوهما من قبل، أثناء ولادة أمهاتهم، وحافظا على عاداتهم وصورة الأم، كان الضيق أقل بكثير، لكنه لم يختف (Bowlby، 1973، ص 36–37).

للتوضيح: تدخل أم ليلى المستشفى للولادة أسبوعا. ليلى في الثانية. إن بقيت مع جدتها التي تعرفها، في بيتها، ومعها دميتها، وكلمها الأب كل يوم عن أمها، فالأرجح أن تحزن دون أن تنهار. وإن نُقلت فجأة إلى بيت لا

تعرفه، فالمراحل الثلاث أقرب. ويضيف قنطار أن تحضير الطفل للحدث يخفف منه (قنطار، 1992، ص 187).

الحرمان والتعلق القلق

التعلق القلق (attachement anxieux / anxious attachment) عند بولبي هو حال من لا يثق بأن صور تعلقه ستكون متاحة حين يحتاجها، فيختار البقاء قريبا منها ليضمن ذلك (Bowlby، 1973، ص 247). ولا يسميه «اتكالية مفرطة»، للسبب الذي مر في المحور 8 (Bowlby، 1973، ص 246).

ومن أسبابه، إلى جانب الانفصال الفعلي، التهديد بالهجر (menace d'abandon / threats of abandonment): أن يُقال للطفل إنه سيُرسل بعيدا، أو إن أمه ستتركه، أو ستمرض بسببه، أو أن يسمع والديه يتشاجران ويخاف رحيل أحدهما (Bowlby، 1973، ص 249 و263–264). وفي دراسة نوتنغهام اعترف 27% من الآباء باستعمال التهديد بالهجر للتأديب (Bowlby، 1973، ص 264).

ومن تطبيقات النظرية تفسيره لرفض المدرسة (refus scolaire / school refusal)، ويقال أيضا: الرهاب المدرسي. وهو غير التغيب: الرافض قلق، وأهله مهتمون. وأكثر أنماط الأسر شيوعا عنده نمط الوالد القلق الذي يبقي الطفل في البيت رفيقا له (Bowlby، 1973، ص 300 و303–304).

والحرمان المؤسساتي (carence institutionnelle / institutional deprivation) أشد صور المشكلة. ففي دراسة Tizard وHodges لـ51 طفلا قضوا سنتيهم الأوليين في مؤسسة، كوّن أغلب المتبنين علاقة وثيقة بوالديهم الجدد، لكن كثيرين بقوا «ودودين» مع الجميع دون تمييز، وطالبين لانتباه الكبار بلا شبع (Bowlby، 1982، ص 367). وهذا هو الوصف الذي صار لاحقا اضطرابا مستقلا.

اضطرابا التعلق

يضع DSM-5-TR الاضطرابين في فصل الاضطرابات المرتبطة بالصدمة والضغوط، وشرطهما المشترك رعاية ناقصة إلى حد التطرف.

اضطراب التعلق التفاعلي (trouble réactionnel de l'attachement / reactive attachment disorder, RAD): طفل منكفئ انفعاليا مع الراشدين الذين يرعونه، نادرا ما يطلب المواساة حين يضيق، ونادرا ما يستجيب لها، ووجدانه الإيجابي محدود، وتأتيه نوبات تهيج أو حزن أو خوف بلا سبب ظاهر. ويُشترط تاريخ من الإهمال أو تغير متكرر للحاضنين أو تربية في مؤسسة، وأن يظهر قبل الخامسة، وأن يكون العمر النمائي تسعة أشهر على الأقل، وألا تنطبق معايير التوحد (APA، 2022، ص 295–296). وهو نادر: أقل من 10% من الأطفال المهملين، حتى في الإهمال الشديد (APA، 2022، ص 297).

اضطراب الانخراط الاجتماعي غير المكبوح (désinhibition du contact social / disinhibited social engagement disorder, DSED): طفل يقترب من الغرباء دون تحفظ، ويتجاوز حدود الألفة المعتادة في ثقافته، ولا يلتفت إلى حاضنه حين يبتعد، ويذهب مع غريب دون تردد. فهي جرأة اجتماعية، غير الاندفاع الذي في فرط الحركة. ويُشترط الحرمان نفسه والعمر النمائي نفسه (APA، 2022، ص 298–299). والمفاجئ أنه قد يظهر عند طفل له تعلق، بل تعلق آمن أحيانا (APA، 2022، ص 299)، وقد يستمر رغم تحسن الرعاية (APA، 2022، ص 300).

وفي ICD-11 يحمل الاضطرابان الرمزين 6B44 و6B45، ولا يُشخصان قبل سنة (أو عمر نمائي دون تسعة أشهر)، ولا في سياق اضطراب طيف التوحد (منظمة الصحة العالمية، 2018، 6B44 و6B45).

	اضطراب التعلق التفاعلي	اضطراب الانخراط الاجتماعي غير المكبوح
السلوك الغالب	انكفاء: لا يطلب المواساة ولا يستجيب لها	انفتاح بلا تمييز على الغرباء
الطابع	داخلي، مع وجدان إيجابي محدود	خارجي، مع تجاوز للحدود الاجتماعية
شرط الرعاية	رعاية ناقصة إلى حد التطرف: إهمال، أو تغير الحاضنين، أو مؤسسة	الشرط نفسه
السن	عمر نمائي 9 أشهر على الأقل، والظهور قبل 5 سنوات	عمر نمائي 9 أشهر على الأقل
علاقته بالتعلق	غياب تعلق انتقائي أو ضعفه الشديد	قد يوجد مع تعلق، حتى آمن
بعد تحسن الرعاية	يتحسن غالبا	قد يستمر
التشخيص الفارقي	التوحد، والإعاقة الذهنية، والاكتئاب	فرط الحركة وتشتت الانتباه
ICD-11	6B44	6B45

جدول 7 : اضطراب التعلق التفاعلي واضطراب الانخراط الاجتماعي غير المكبوح

المصدر: APA، 2022، ص 295–301؛ منظمة الصحة العالمية، 2018، 6B44 و6B45. والمقابلان الفرنسيان من DSM-5 بالفرنسية (APA، 2013، ص 343–346).

التشخيص الفارقي

يفرق التفاعلي عن التوحد تاريخ الإهمال، وغياب الاهتمامات المحصورة والسلوك الطقوسي، وأن الطفل التوحدي يظهر غالبا تعلقا مناسبا لعمره (APA، 2022، ص 297–298). وصاحب الإعاقة الذهنية يتعلق تعلقا انتقائيا متى بلغ عمرا عقليا من 7 إلى 9 أشهر (APA، 2022، ص 298). أما غير المكبوح فلا يعاني صاحبه صعوبة الانتباه وفرط النشاط اللذين في فرط الحركة (APA، 2022، ص 301).

تنبيه: اضطراب التعلق تشخيص نادر يشترط حرمانا متطرفا. والتعلق غير الآمن نمط علاقة يوجد عند نحو ثلث الأطفال في العينات العادية (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 97؛ Shaffer وKipp، 2010، ص 456)، وليس اضطرابا. والدليل نفسه يطلب الحذر في الثقافات التي لم يُدرس فيها التعلق (APA، 2022، ص 297). ولا يُستعمل شيء من وثيقة الأولياء البلجيكية (PETALES) في العلاج، ولا يُعتمد «علاج الاحتضان».

الصمود

أغلب الأطفال الذين أصيبوا في علاقتهم بأمهاتهم تجاوزوا الحدث ونموا نموا عاديا، كما يقرر قنطار (قنطار، 1992، ص 185). والصمود (résilience / resilience) هنا قدرة على النمو السوي رغم الشدة. ويرتبط بعوامل معروفة: رعاية بديلة ثابتة، وحساسية من يرعى الطفل بعد الحرمان. فمآل اضطراب التعلق التفاعلي يتوقف على جودة الرعاية التي تلي الإهمال (APA، 2022، ص 297)، والأم الحساسة تستطيع أن تتكيف حتى مع رضيع صعب فتحسن مساره (Bowlby، 1982، ص 368).

مفاهيم مفتاحية

- **الاحتجاج، واليأس، والانفصال العاطفي** (protestation, désespoir, détachement / protest, despair, detachment): مراحل استجابة الطفل الصغير لانفصال طويل عن أمه.

- **التعلق القلق** (attachement anxieux / anxious attachment): عند بولبي، غياب الثقة بأن صورة التعلق ستكون متاحة، مع البقاء قربها.
- **اضطراب التعلق التفاعلي** (trouble réactionnel de l'attachement / reactive attachment disorder): انكفاء عن طلب المواساة بعد رعاية ناقصة متطرفة.
- **اضطراب الانخراط الاجتماعي غير المكبوح** (désinhibition du contact social / disinhibited social engagement disorder): انفتاح بلا تمييز على الغرباء بعد رعاية ناقصة متطرفة.
- **الصمود** (résilience / resilience): النمو السوي رغم الشدة.

خلاصة المحور:

الطفل المفصول عن أمه في مكان غريب يمر غالبا بالاحتجاج ثم اليأس ثم الانفصال العاطفي، ويخفف ذلك رفيق مألوف ورعاية بديلة حانية. والتهديد بالهجر وتكرار الانفصال يولدان تعلقا قلقا. أما الاضطرابان التشخيصيان فنادران، ويشترطان رعاية ناقصة إلى حد التطرف: التفاعلي انكفاء، وغير المكبوح انفتاح بلا تمييز. والنمط غير الآمن ليس اضطرابا، وأغلب الأطفال يتجاوزون الانفصال إذا وجدوا رعاية ثابتة.

مصادر هذا المحور: Bowlby، 1982، ص 27–28 و367–368؛ Bowlby، 1973، ص 30–31 و35–37 و246–249 و263–264 و300–304؛ APA، 2022، ص 295–301؛ APA، 2013، ص 343–346؛ منظمة الصحة العالمية، 2018، 6B44 و6B45؛ قنطار، 1992، ص 174 و185 و187.

للتعمق في الموقع: «خبرات الطفولة السلبية: ما الذي كشفته دراسة ACE» https://psyencharge.com/خبرات-الطفولة-السلبية/ و«نظرية التعلق» https://psyencharge.com/نظرية-التعلق/

12. المقارنة والتركيب والتطبيق

ما ستعرفه في هذا المحور:

- كيف تتكامل نظريات فالون وإريكسون وبولبي، وأين تختلف.
- ما يترتب عليها في القسم والروضة والأسرة والعيادة.
- ما ثبت منها بالبحث، وما لم يثبت.

ثلاث نظريات وسؤال واحد

تتفق النظريات الثلاث على أن الطفل لا ينمو وحده. فالون يجعل الوسط البشري شريكا في النمو منذ الولادة، وإريكسون يجعل المجتمع طرفا في كل أزمة، وبولبي يجعل صورة التعلق شرطا للاستكشاف. لكنها تختلف في المحرك والمنهج والمدى.

	فالون	إريكسون	بولبي وأينسورث
المحرك	الصراع والأزمة بين العامل البيولوجي والعامل الاجتماعي	الأزمة النفسية الاجتماعية بين النضج ومطالب المجتمع	نظام سلوكي تطوري وظيفته الحماية، تشكله حساسية الحاضن
المنهج	المقاربة التكوينية والجدلية، والمنهج المقارن	الحالة العيادية، والدراسة الأنثروبولوجية، والسيرة النفسية	الإيثولوجيا، والملاحظة في البيت، والموقف الغريب
الفترة	من الولادة إلى المراهقة	دورة الحياة كلها	الطفولة الأولى أساسا، ثم النماذج العاملة عبر العمر
المفهوم المركزي	التناوب الوظيفي، والغلبة الوظيفية، والانفعال أول تواصل	المبدأ التخلقي، والنسبة المواتية، وهوية الأنا	القاعدة الآمنة، وأنماط التعلق، والنماذج العاملة الداخلية
في التطبيق	فهم أزمة المعارضة، وتعارض الانفعال والتمثيل عند الطفل الغاضب	قراءة حاجات كل مرحلة، والمهلة النفسية الاجتماعية	الحساسية والاستجابة، وتنظيم الانفصال والاستقبال
النقد	نثر صعب، ومنهج طبيب لا مجرب، وأعمار متذبذبة	غموض المفاهيم، وصعوبة الاختبار، وغياب آلية الانتقال، والربط الزائد بمناطق فرويد	وظيفة الحماية ترجيح، والفترة الحساسة غير محسومة، ودور المزاج والثقافة، وخطر جعل الأنماط سمات

جدول 8: الجدول الجامع للنظريات الثلاث

المصدر: المحاور 2 إلى 11 من هذا السند؛ Miller، 2016، ص 147 و239–240 و403 و427؛ Crain، 2014، ص 67–68 و312؛ Shaffer وKipp، 2010، ص 461؛ Waters وآخرون، 2015، ص xxxii.

وتلاحظ Miller أن نظرية إريكسون، مثل نظريات فرويد وبياجيه، لم تعد تُختبر مباشرة في البحث، لكن أفكارها دخلت الميدان حتى صار أثرها «غير مرئي تقريبا» (Miller، 2016، ص 403). وتشترك هذه النظريات في ضعف واحد: وصف غني للنمو، وآليات انتقال غامضة يصعب رصدها (Miller، 2016، ص 427). أما نظرية التعلق فما زالت حية في البحث، لكنها انتقلت من التصنيف إلى دراسة سيرورات العلاقة (Miller، 2016، ص 241). ومن نقد الإيثولوجيا قول Bronfenbrenner إن علم نفس النمو صار علم «السلوك الغريب للأطفال في مواقف غريبة مع راشدين غرباء» (Bronfenbrenner، 1977، نقلا عن Miller، 2016، ص 238). وهو نقد يصيب الموقف الغريب نفسه، ولذلك تمسكت أينسورث بالملاحظة في البيت.

أما فالون فبقي أثره في المدرسة الفرنسية أكثر من البحث الدولي. خلفه تلميذه René Zazzo على رأس مخبره سنة 1950، ومر في المحور 2 مشروع لانجفان–فالون. ويذكر مدخل «France» في موسوعة Kazdin أن ما كتبه عن تعرف الطفل على جسده في صورة المرآة صار منطلق «مرحلة المرآة» عند Lacan (Kazdin، 2000، م 3، ص 393–394). وحدوده ما مر: نثر صعب، ومنهج طبيب يلاحظ لا مجرب يكرر (المحوران 2 و3).

في القسم والروضة

- **التلميذ في سن المعارضة:** «لا» طفل الثالثة عند فالون علامة نمو الشخص، لا عصيان (المحور 3). والمعلم الذي يفهمها لا يدخل في صراع إرادات.
- **بين الاجتهاد والشعور بالنقص:** تلميذ المرحلة الابتدائية يحتاج مهاما يقدر على إنجازها، وحكما على العمل لا على الشخص (المحور 6).
- **المراهق في المهلة النفسية الاجتماعية:** تردده في التوجيه بحث مشروع عن هوية، لا كسل (المحور 7).
- **المعلم قاعدة آمنة:** المربية الحساسة الدافئة يمكن أن تصير صورة تعلق ثانوية، وتخفف أثر تعلق غير آمن بالأم (Papalia وMartorell، 2018، ص 149). وتغيير المربية قبل 30 شهرا يرتبط بنقص الشعور بالأمان (Papalia وMartorell، 2018، ص 150).

- **الروضة والانفصال الأول:** يودع الوالد طفله ويقول له متى يعود، ولا يتسلل خفية؛ فالتسلل يقوي خوف الطفل من الهجر (Papalia وMartorell، 2018، ص 150). ويقترح قنطار ساعات محدودة في البداية، وأن تكون الحضانة مكملة للأسرة لا بديلا عنها (قنطار، 1992، ص 182).

في الأسرة

- **الحساسية والاستجابة:** يسأل الوالدان: هل نفسد الرضيع إن أسرعنا إليه كلما بكى؟ جواب بولبي وأينسورث: لا. الإفساد يأتي حين يفرض الوالد قربه وحبه دون أن ينتبه إلى إشارات الطفل، لا حين يستجيب لها (Crain، 2014، ص 66). وفي بالتيمور، صار رضع الأمهات المستجيبات يبكون أقل في آخر السنة (Bowlby، 1982، ص 366).
- **الاستقبال بعد غياب:** الطفل العائد من غياب طويل قد يتجاهل أمه أو يعاتبها أو يتشبث بها. وهذا رد مفهوم، لا جحود. ويرى بولبي أن طريقة استجابة الأم لهذا الازدواج من أهم ما يحدد مدته (Bowlby، 1973، ص 31).
- **الدخول إلى الروضة أو المستشفى:** التحضير، ورفيق مألوف، ولعبة من البيت، وزيارات منتظمة، وشخص ثابت يرعاه (Bowlby، 1973، ص 35–37؛ قنطار، 1992، ص 187).

للتوضيح: يعود الأب من عمل في مدينة بعيدة بعد شهرين. يختبئ ابنه عمر ذو السنتين خلف أمه ولا يقترب. يجلس الأب قريبا ويلعب، دون عتاب ولا جر، ويترك عمر يقترب حين يريد.

في العيادة

يُحال الطفل إلى المختص حين يغيب طلب المواساة غيابا دائما، أو حين يذهب مع الغرباء دون تردد، وخاصة إذا كان في تاريخه إهمال شديد أو تغير متكرر للحاضنين (المحور 11). أما «التشخيص بنمط التعلق» فلا يصح. فالموقف الغريب أداة بحث تصنف علاقة بحاضن معين، لا اختبار عيادي لطفل، والأنماط عناوين لا تفسر شيئا وحدها (Waters وآخرون، 2015، ص xxxii). ولا يُعرف عن الأطفال الجزائريين أو المغاربيين شيء من هذا الإجراء، لغياب الدراسات في المكتبة. ويدعو قنطار إلى الحذر عند نقل نتائج البحوث الغربية إلى المجتمع العربي، لأن ما يناسب الغرب قد لا يناسب غيره (قنطار، 1992، ص 183).



شكل 10: ما ثبت وما لم يثبت في نظرية التعلق

مفاهيم مفتاحية

- **التركيب** (synthèse / synthesis): جمع النظريات في صورة واحدة تبين ما يتكامل منها وما يختلف.
- **القاعدة الآمنة في القسم** (base de sécurité / secure base): معلم أو مربية يطمئن إليها الطفل فيجرؤ على التعلم.
- **الحساسية والاستجابة** (sensibilité et réactivité / sensitivity and responsiveness): ما يبني التعلق الآمن، لا كثرة الوقت وحدها.

خلاصة المحور:

تلتقي النظريات الثلاث في أن الوجدان والعلاقة يحركان النمو، وتختلف في المحرك والمنهج والمدى: فالون في الأزمة والتناوب، وإريكسون في دورة الحياة، وبولبي وأينسورث في القاعدة الآمنة. وأقواها سندا بحثيا نظرية التعلق، لكن أنماطها لا تصلح للتشخيص. وما ينفع المعلم والوالد واحد: استجابة حساسة، وانفصال محضّر، واستقبال صبور بعد الغياب.

مصادر هذا المحور: Miller، 2016، ص 238 و241 و403 و427؛ Crain، 2014، ص 66–68 و312؛ Papalia وMartorell، 2018، ص 149–150؛ Bowlby، 1982، ص 334 و366؛ Bowlby، 1973، ص 31 و35–37؛ Waters وآخرون، 2015، ص xxxii؛ Kazdin، 2000، م 3، ص 393–394؛ قنطار، 1992، ص 182–183 و187.

للتعمق في الموقع: «نظريات النمو في علم النفس: جدول مقارن» https://psyencharge.com/نظريات-النمو/ و«ليف فيجوتسكي» https://psyencharge.com/alam/ليف-فيجوتسكي/ و«السند 1: نظريات النمو المعرفي» https://psyencharge.com/sanadat/نظريات-النمو-المعرفي-pdf/

أخطاء شائعة عند الطلبة

1. **«الانفعال والوجدان شيء واحد عند فالون»**. الانفعال حالة عابرة لها مظهر جسدي، والوجدان مجال أوسع يضم الانفعالات والعواطف والأهواء. ويفرق فالون أيضا بين الانفعال والعاطفة والهوى (المحوران 1 و4).
2. **«النمو الانفعالي والاجتماعي هو تغير طريقة التفكير والفهم»**. هذا تعريف النمو المعرفي. والنمو الوجداني والاجتماعي تغير الانفعالات والشخصية والعلاقة بالآخرين (Papalia و Martorell، 2018، ص 7؛ المحور 1).
3. **«مراحل فالون تتتابع خطيا مثل مراحل بياجيه»**. عند فالون تناوب بين مراحل جاذبة نحو الذات ومراحل نابذة نحو العالم، وأزمات تفصل بينها، والجديد يعيد تنظيم القديم ولا يمحوه (المحوران 2 و3).
4. **«أزمة المعارضة أزمة المراهقة»**. هي عند فالون في الثالثة، ضمن مرحلة الشخصانية. وأزمة البلوغ أزمة أخرى (المحور 3).
5. **«سن النعمة تسمية فالون»**. أخذها فالون عن Homburger، وقال ذلك في نصه (Wallon، 1941، الفصل XII؛ المحور 3).
6. **«المحاكاة عند فالون هي التقليد المؤجل»، و«الحوار التوتري» من نص فالون**. التقليد المؤجل مصطلح بياجيه، وفالون يتكلم عن الاندماج ثم التقليد ثم الصورة المحاكية. و«الحوار التوتري الانفعالي» عبارة الكتب الجامعية، لا كتاب 1941 (Ricaud وآخرون، 2019، ص 83؛ المحور 4).
7. **«فالون ماركسي، ونظريته تطبيق للمادية الجدلية»**. هذا رأي Ricaud وزميلتيها، ويعارضه Jalley. فالمسألة موضع خلاف (المحور 2).
8. **«الأزمة عند إريكسون مرض أو كارثة»**. هي منعطف نمو، يحمل خطرا وفرصة معا (المحور 5).

9. **«على الطفل أن يتخلص من القطب السلبي كله»**. المطلوب نسبة مواتية بين القطبين، يغلب فيها القطب الإيجابي (المحور 5).

10. **«الثقة مقابل الشك مرحلة تأتي بعد مرحلة أخرى»**. الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة هي المرحلة الأولى، ولا شيء قبلها. و«الشك» يخص المرحلة الثانية (المحور 6).

11. **«حالات الهوية الأربع من إريكسون»**. هي من مارشا (1966). وإريكسون تكلم عن الهوية وتشتت الدور والمهلة (المحور 7).

12. **«التعلق يُبنى بالإطعام»**. هذه نظرية الدافع الثانوي التي رفضها بولبي (Bowlby، 1982، ص 211–217؛ المحور 8). والذي يبني التعلق الآمن حساسية الاستجابة لإشارات الرضيع (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 144).

13. **«الطفل ينطبع بأمه كما ينطبع فرخ الإوز»**. بولبي يقبل البصم بمعناه العام فقط، ويؤكد أن التعلق عند الإنسان أبطأ بكثير (Bowlby، 1982، ص 222–223؛ المحور 8).

14. **«الأحادية تعني أن الطفل لا يتعلق إلا بأمه»، و«القاعدة الآمنة مفهوم بولبي»**. للطفل صورة رئيسية وصور ثانوية، والقاعدة الآمنة ينسبها بولبي نفسه إلى أينسورث (Bowlby، 1982، ص 304 و333؛ المحوران 8 و10).

15. **«الموقف الغريب من بولبي»**. هو من أينسورث وزملائها (1978). وبولبي صاحب النظرية (المحور 9).

16. **«أينسورث وضعت النمط غير المنظم»**. هو من Main وSolomon. وكان النمط نادرا في عينة بالتيمور فلم يُجعل نمطا (Waters وآخرون، 2015، ص xxxi؛ المحور 9).

17. **«الطفل المتشبث أقوى تعلقا»**. يلاحظ بولبي أن الطفل القلق قد يبدو أشد تعلقا من الطفل الآمن، والصواب أنه أقل أمنا، لا أقوى تعلقا (Bowlby، 1982، ص 334).

18. **«الطفل الذي لا يبكي عند غياب أمه هادئ وآمن»**. قد يكون من النمط A، الذي يبكي في البيت كثيرا ويكتم في المختبر (Ainsworth وآخرون، 1978، ص 309–310؛ المحور 9).

19. **«التعلق غير الآمن اضطراب»**. النمط غير الآمن نمط علاقة شائع. واضطراب التعلق تشخيص نادر يشترط رعاية ناقصة إلى حد التطرف (المحوران 9 و11).

20. **«النمط سمة ثابتة في الطفل»**. الموقف الغريب يصنف علاقة بحاضن معين، وقد يختلف النمط مع الأب عنه مع الأم، ويتغير بتغير الرعاية (Waters وآخرون، 2015، ص xxxii؛ المحوران 9 و10).

21. **«الانفصال عند ماهلر غياب الأم»**. هو عندها نمو نفسي داخلي، يدرك فيه الطفل أنه مستقل عن أمه (المحور 10).

22. **«اضطراب الدورة عند إريكسون»**. الصواب «اضطراب الدور»، أي تشتت الدور (role confusion) في مرحلة الهوية (المحور 7).

23. **«المهلة عند إريكسون هي التعليق عند مارشا»**. المهلة النفسية الاجتماعية فترة يسمح بها المجتمع للمراهق، والتعليق حالة من حالات الهوية الأربع. والفرنسية والإنجليزية تسميهما بكلمة واحدة، ومن هنا الخلط (المحور 7).

24. **«التعلق هو الاتكالية»، أو «التعلق هو سلوك التعلق»**. الرضيع في أسابيعه الأولى معتمد على أمه وغير متعلق بها، وبولبي يرفض كلمة الاتكالية لأنها تحمل لوما. والتعلق ميل دائم، وسلوك التعلق ما يظهر ويختفي بحسب الموقف (Bowlby، 1982، ص 228–229 و371–372؛ المحوران 8 و11).

25. **«هدوء الطفل في المرحلة الثالثة من الانفصال شفاء»**. هو الانفصال العاطفي، وعلامته فتور الطفل تجاه أمه حين تزوره (Bowlby، 1982، ص 27–28؛ المحور 11).

26. **«الحضانة تضر بالتعلق دائما»**. الأثر يتوقف على حساسية الأم وجودة الحضانة وثبات المربية (Papalia وMartorell، 2018، ص 149–150؛ المحوران 10 و12).

مسرد المصطلحات

العربي	الفرنسي	الإنجليزي	التعريف
النمو الوجداني والاجتماعي	développement socio-affectif	socioemotional development	تغير الانفعالات والوجدان والشخصية، وتغير العلاقة بالآخرين وبالمجتمع

العربي	الفرنسي	الإنجليزي	التعريف
النمو المعرفي	développement cognitif	cognitive development	نمو الإدراك والتعلم والذاكرة واللغة والاستدلال
الانفعال	émotion	emotion	حالة عابرة لها مظهر جسدي، وهي ما يظهر من الوجدان
الوجدان	affectivité	affect	مجال يضم الانفعالات والعواطف والأهواء
المقاربة التكوينية	approche génétique	genetic approach	دراسة كل وظيفة من نشأتها وتحولاتها
المنهج المقارن	méthode comparative	comparative method	مقارنة الطفل بالراشد والمريض والحيوان لكشف شروط النمو
النضج	maturation	maturation	نمو الأعضاء الذي يجعل الوظيفة ممكنة
الأزمة	crise	crisis	لحظة يحتد فيها الصراع بين القديم والجديد فيظهر في السلوك
التناوب الوظيفي	alternance fonctionnelle	functional alternation	تعاقب مراحل جاذبة نحو الذات ومراحل نابذة نحو العالم
الاتجاه الجاذب نحو الذات	centripète	centripetal	اتجاه النشاط إلى بناء الطفل نفسه
الاتجاه النابذ نحو العالم	centrifuge	centrifugal	اتجاه النشاط إلى العالم الخارجي
الغلبة الوظيفية (السلوك المهيمن)	prédominance fonctionnelle	functional predominance	تقدم وظيفة واحدة في كل مرحلة دون إلغاء غيرها
الإدماج الوظيفي	intégration fonctionnelle	functional integration	احتفاظ الجديد بالقديم وإعادة تنظيمه
المرحلة	stade	stage	مجموعة سلوكات لها طابعها واتجاهها، قد تمتد على سنوات
الذهنية الإسقاطية	mentalité projective	projective mentality	فكر يلتصق بموضوعه وتسبق فيه الإشارة الكلمة
مرحلة الشخصانية	stade du personnalisme	personalism stage	من 3 إلى 6 سنوات، يتجه فيها النمو إلى توكيد الشخص
أزمة المعارضة	crise d'opposition	crisis of opposition	معارضة الطفل للآخرين نحو الثالثة ليختبر استقلاله
سن النعمة	âge de grâce	age of grace	نحو الرابعة، رشاقة في الحركة وحاجة إلى الإعجاب، مع خجل
تقليد الأدوار	imitation des rôles	role imitation	تقليد الراشد المرموق رغبة في الحلول محله وإعجابا به
المرحلة الفئوية	stade catégoriel	categorical stage	سن المدرسة، تنتظم فيها المعرفة في فئات
أزمة البلوغ	crise pubertaire	pubertal crisis	أزمة تفتح المراهقة، متناظرة مع أزمة المعارضة

العربي	الفرنسي	الإنجليزي	التعريف
الوعي بالذات	conscience de soi	self-awareness	معرفة الطفل نفسه شخصا متميزا عن غيره
التوتر العضلي	tonus	muscle tone	الشد الدائم في العضلة الذي يثبت الوضعية، ومادة الانفعال
الوظيفة الوضعية	fonction posturale	postural function	قدرة الجسم على اتخاذ وضعيات ترتبط بالإحساس والانفعال
العدوى الانفعالية	contagion émotionnelle	emotional contagion	انتقال الانفعال من شخص إلى آخر بالوضعيات والتعابير
العاطفة	sentiment	sentiment	انفعال متحفظ يراقب صاحبه من بعيد
الهوى	passion	passion	وجدان يقتضي إسكات الانفعال ووعيا بالفرق بين النفس والآخر
التمثيل	représentation	representation	صورة ذهنية تسمح بالمقارنة والتوقع، تتعارض مع الانفعال
الفعل الحركي	acte moteur	motor act	حركة لها موقف وغاية، أساس النمو النفسي الحركي
التقليد (المحاكاة)	imitation	imitation	فعل يقوده نموذج خارجي، ينقل الطفل من الفعل إلى التمثيل
الاندماج	mimétisme	mimetism	مشاركة جسدية في انفعالات الآخرين قبل التمايز عنهم
الصورة المحاكية	simulacre	simulacrum	فعل بلا موضوع حقيقي على صورة فعل حقيقي، يمهد للرمز
التمركز حول الذات (عند بياجيه)	égocentrisme	egocentrism	عجز الطفل عن أخذ وجهة نظر غيره، ونقده فالون
علم نفس الأنا	psychologie du moi	ego psychology	تيار تحليلي يدرس الأنا قوة تنظم الخبرة
النمو النفسي الاجتماعي	développement psychosocial	psychosocial development	نمو الأنا في علاقته بالمجتمع عبر العمر كله
المناطق والأنماط والكيفيات	zones, modes et modalités	zones, modes, and modalities	قراءة إريكسون لمناطق فرويد طرقا عامة في التعامل مع العالم
المبدأ التخلقي	principe épigénétique	epigenetic principle	قوى الشخصية تنشأ واحدة بعد أخرى، ولكل منها وقت ظهورها
الأزمة النفسية الاجتماعية	crise psychosociale	psychosocial crisis	منعطف بين التقدم والنكوص في كل مرحلة
الصراع النووي	conflit nucléaire	nuclear conflict	اسم إريكسون نفسه لأزمة كل مرحلة
النسبة المواتية	ratio favorable	favorable ratio	غلبة القطب الإيجابي دون إلغاء السلبي

العربي	الفرنسي	الإنجليزي	التعريف
السيرة النفسية	psychobiographie	psychobiography	قراءة نمو شخصية تاريخية بأدوات التحليل النفسي
الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة	confiance ou méfiance	basic trust vs. basic mistrust	الأزمة الأولى، وفضيلتها الأمل
الاستقلالية مقابل الخجل والشك	autonomie ou doute/honte	autonomy vs. shame and doubt	الأزمة الثانية، وفضيلتها الإرادة
المبادأة مقابل الشعور بالذنب	initiative ou culpabilité	initiative vs. guilt	الأزمة الثالثة، وفضيلتها الغاية
الاجتهاد مقابل الشعور بالنقص	compétence ou infériorité	industry vs. inferiority	الأزمة الرابعة، وفضيلتها الكفاءة
الهوية مقابل تشتت الدور	identité ou confusion des rôles	identity vs. role confusion	أزمة المراهقة، وفضيلتها الإخلاص
الألفة مقابل العزلة	intimité ou isolement	intimacy vs. isolation	أزمة الرشد المبكر، وفضيلتها الحب
الإنتاجية مقابل الركود	générativité ou stagnation	generativity vs. stagnation	أزمة الرشد الأوسط، وفضيلتها الرعاية
تكامل الأنا مقابل اليأس	intégrité personnelle ou désespoir	ego integrity vs. despair	أزمة الشيخوخة، وفضيلتها الحكمة
قوة الأنا (الفضيلة)	force du moi / vertu	ego strength / virtue	الثمرة الباقية من النسبة المواتية في كل مرحلة
دائرة العلاقات	rayon des relations significatives	radius of significant relations	الأشخاص الدالون في كل مرحلة، من الأم إلى الإنسانية
الرشد الناشئ	âge adulte émergent	emerging adulthood	فترة من آخر المراهقة إلى منتصف العشرينيات يستمر فيها استكشاف الهوية
هوية الأنا	identité du moi	ego identity	الثقة بأن استمرار المرء في نفسه يقابله استمرار معناه عند الآخرين
أزمة الهوية	crise d'identité	identity crisis	فقدان الإحساس بتماسك الذات واستمرارها
المهلة النفسية الاجتماعية	moratoire psychosocial	psychosocial moratorium	فترة يؤجل فيها المجتمع التزامات الراشد
الهوية السلبية	identité négative	negative identity	تبني دور مرفوض اجتماعيا بدل البقاء بلا هوية
حالات الهوية	statuts identitaires	identity statuses	تصنيف مارشا بحسب الاستكشاف والالتزام
الاستكشاف (عند مارشا)	exploration	exploration	البحث النشط بين بدائل المهنة والمعتقد

العربي	الفرنسي	الإنجليزي	التعريف
الالتزام	engagement	commitment	درجة استثمار الفرد في مهنة أو معتقد
تحقيق الهوية	identité réalisée	identity achievement	التزام بعد استكشاف
تعليق الهوية	moratoire	moratorium	استكشاف بلا التزام بعد
انغلاق الهوية	identité forclose	foreclosure	التزام دون استكشاف
تشتت الهوية	identité diffuse	identity diffusion	لا استكشاف ولا التزام
الإيثولوجيا	éthologie	ethology	علم سلوك الحيوان في بيئته
البصم	empreinte	imprinting	تعلم سريع يجعل الصغير يتبع أول جسم متحرك ويفضله
الفترة الحرجة	période critique	critical period	فترة محددة لا يُرد أثر ما يقع فيها
الفترة الحساسة	période sensible	sensitive period	فترة يسهل فيها تعلم بعينه، بحدود أقل حدة
نظرية الدافع الثانوي	théorie de la pulsion secondaire	secondary drive theory	القول إن الطفل يتعلق بأمه لأنها تطعمه، ورفضها بولبي
بيئة التكيف التطوري	environnement d'adaptation évolutionnaire	environment of evolutionary adaptedness	البيئة التي انتقت أنظمة الإنسان السلوكية
التعلق	attachement	attachment	ميل دائم إلى طلب القرب من شخص بعينه عند الخوف أو التعب أو المرض
سلوك التعلق	comportement d'attachement	attachment behaviour	كل سلوك يبلغ به الطفل القرب أو يحفظه
صورة التعلق	figure d'attachement	attachment figure	الشخص الذي يتجه إليه سلوك التعلق
الاتكالية	dépendance	dependency	الاعتماد على الغير، وليست التعلق عند بولبي
نظام الضبط	système de contrôle	control system	نظام يقارن حالة فعلية بهدف ويعمل حتى يقرب بينهما
القاعدة الآمنة	base de sécurité	secure base	صورة التعلق التي ينطلق منها الطفل ليستكشف ويعود إليها
الأحادية	monotropie	monotropy	ميل الطفل إلى توجيه تعلقه أساسا إلى شخص واحد
الشراكة المصححة الهدف	partenariat corrigé quant au but	goal-corrected partnership	المرحلة الرابعة، يفهم فيها الطفل أهداف أمه ويفاوضها
الخوف من الغريب	peur de l'étranger	fear of strangers	حذر الرضيع من الغرباء، نحو الشهر الثامن غالبا

العربي	الفرنسي	الإنجليزي	التعريف
قلق الانفصال	angoisse de séparation	separation anxiety	ضيق الطفل من غياب صورة التعلق
الموقف الغريب	situation étrange	Strange Situation	إجراء من ثماني حلقات لتصنيف علاقة الرضيع بحاضن معين
الحلقة	épisode	episode	جزء من الموقف الغريب، مدته ثلاث دقائق غالبا
المجموعات الفرعية	sous-groupes	subgroups	تقسيمات داخل الأنماط A وB وC
التعلق الآمن (B)	attachement sécurisant	secure attachment	يطلب الحاضن عند اللقاء ويهدأ به ويعود إلى اللعب
التعلق القلق التجنبي (A)	anxieux-évitant	anxious-avoidant	تجاهل الحاضن أو تجنبه عند اللقاء
التعلق القلق المقاوم (C)	anxieux-résistant	anxious-resistant	طلب القرب ومقاومته معا، مع ضيق شديد
التعلق غير المنظم (D)	désorganisé-désorienté	disorganized/disoriented	سلوك متناقض أو خائف عند اللقاء
حساسية الأم	sensibilité maternelle	maternal sensitivity	التقاط إشارات الرضيع وفهمها والاستجابة لها في وقتها
المزاج	tempérament	temperament	استعداد فطري في الانفعال والنشاط
النماذج العاملة الداخلية	modèles internes opérants	internal working models	صور ذهنية عن صور التعلق وعن الذات يُتوقع بها سلوك الآخرين
مقابلة تعلق الراشد	Adult Attachment Interview (AAI)	Adult Attachment Interview	مقابلة عن الطفولة تصنف الراشد بتماسك حديثه
الانتقال بين الأجيال	transmission intergénérationnelle	intergenerational transmission	تشابه نمط الوالد ونمط طفله، وهو اتجاه احتمالي
تعدد صور التعلق	figures d'attachement multiples	multiple attachment figures	صورة رئيسية وصور ثانوية، منها الأب والإخوة والجدة والمربية
الانفصال والتفرد	séparation-individuation	separation-individuation	عند ماهلر، إدراك الطفل التدريجي أنه مستقل عن أمه
الاحتجاج، واليأس، والانفصال العاطفي	protestation, désespoir, détachement	protest, despair, detachment	مراحل استجابة الطفل الصغير لانفصال طويل عن أمه
الحرمان الأمومي	carence maternelle	maternal deprivation	غياب علاقة ثابتة بالأم أو ببديل دائم عنها
الحرمان المؤسساتي	carence institutionnelle	institutional deprivation	نشأة الطفل في مؤسسة بلا حاضن ثابت

العربي	الفرنسي	الإنجليزي	التعريف
التعلق القلق	attachement anxieux	anxious attachment	عند بولبي، غياب الثقة بأن صورة التعلق ستكون متاحة
التهديد بالهجر	menace d'abandon	threats of abandonment	تخويف الطفل بالإبعاد أو برحيل أحد والديه
رفض المدرسة	refus scolaire	school refusal	قلق يمنع الطفل من الذهاب إلى المدرسة، غير التغيب
اضطراب التعلق التفاعلي	trouble réactionnel de l'attachement	reactive attachment disorder	انكفاء عن طلب المواساة بعد رعاية ناقصة متطرفة
اضطراب الانخراط الاجتماعي غير المكبوح	désinhibition du contact social	disinhibited social engagement disorder	انفتاح بلا تمييز على الغرباء بعد رعاية ناقصة متطرفة
الرعاية البديلة	soins de substitution	substitute care	رعاية من بديل ثابت يعرفه الطفل
الصمود	résilience	resilience	النمو السوي رغم الشدة

جدول 9: مسرد المصطلحات: عربي وفرنسي وإنجليزي

بوابة الصحة النفسية
psyencharge.com

المراجع

تنبيه: يُحال إلى كل نص بسنة الطبعة التي يتبعها ترقيمنا، وتُذكر سنة الطبعة الأولى هنا. وكتاب فالون في المكتبة ملف epub بلا ترقيم مطبوع، فيُحال إليه بالفصل، و«التمهيد» هو تمهيد فالون نفسه (Préface)، و«المقدمة» هي مقدمة Jalley. وDSM-5-TR يُحال إليه بأرقام الصفحات المطبوعة الظاهرة في الملف، وكذلك DSM-5 بالفرنسية وملف CEMEA. وما غاب أصله عن المكتبة عُرض من وسيط مذكور في موضعه.

النصوص الأصلية

- Ainsworth, M. D. S., Blehar, M. C., Waters, E. & Wall, S. (1978). *Patterns of Attachment: A Psychological Study of the Strange Situation*. Classic Edition. New York & London : Psychology Press, 2015. epub بترقيم الطبعة.
- Bowlby, J. (1973). *Attachment and Loss, Vol. 2: Separation: Anxiety and Anger*. London : Pimlico, 1998. epub بترقيم طبعة Pimlico.
- Bowlby, J. (1982). *Attachment and Loss, Vol. 1: Attachment* (2nd ed.). London : Pimlico, 1997. الطبعة الأولى 1969. epub بترقيم الطبعة، وتنقصه علامات بعض الصفحات.
- Erikson, E. H. (1963). *Childhood and Society* (2nd ed.). New York : W. W. Norton, reissued 1993. الطبعة الأولى 1950.
- Jalley, É. (2012). Introduction. In H. Wallon, *L'évolution psychologique de l'enfant*. Paris : Armand Colin (Bibliothèque des classiques). epub.
- Wallon, H. (1941). *L'évolution psychologique de l'enfant*. Paris : Armand Colin, 2012. epub (Bibliothèque des classiques) بلا ترقيم مطبوع، والإحالة بالفصل.

- Waters, E., Bretherton, I. & Vaughn, B. E. (2015). Preface (2015). In M. D. S. Ainsworth et al., *Patterns of Attachment*, Classic Edition (p. x–xxxvi). New York & London : Psychology Press.

الدلائل التشخيصية

- American Psychiatric Association (2013). *DSM-5 : Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux*. Paris : Elsevier Masson. للمصطلح الفرنسي فقط.
- American Psychiatric Association (2022). *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders* (5th ed., Text Revision, DSM-5-TR). Washington, DC : APA.
- World Health Organization (2018). *ICD-11 for Mortality and Morbidity Statistics* (chapitres 6, 7 et 17). Geneva : WHO.

الكتب الجامعية والموسوعات

- Brumariu, L. E. & Kerns, K. A. (2011). Parent-child attachment in early and middle childhood. In P. K. Smith & C. H. Hart (Eds.), *The Wiley-Blackwell Handbook of Childhood Social Development* (2nd ed., p. 319-336). Chichester : Wiley-Blackwell.
- CEMEA Pays de la Loire (د. ت.). *Psychologie et développement de l'enfant*. Les dossiers de l'Infop. ملف بلا مؤلف ولا سنة، للتبسيط فقط.
- Clément, C. & Demont, E. (2021). *Les 23 grandes notions de la psychologie du développement* (3e éd.). Malakoff : Dunod.
- Crain, W. (2014). *Theories of Development: Concepts and Applications* (6th ed., Pearson New International Edition). Harlow : Pearson. الطبعة الأمريكية 2011.

- Johnson, S. M. (2019). *Attachment Theory in Practice: Emotionally Focused Therapy (EFT) with Individuals, Couples, and Families*. New York : Guilford.
- Kazdin, A. E. (Ed.) (2000). *Encyclopedia of Psychology* (8 vol.). Washington, DC : APA & Oxford University Press / New York. ومنه: Hopkins, J. R., «Erikson, Erik H.» (م 3، ص 234–237)؛ ومدخل «France» (م 3، ص 393–394)؛ و Deaux, K., «Identity» (م 4، ص 222–225)؛ و Weizmann, F., «Bowlby, Edward John Mostyn» (م 1، ص 445–446).
- Kohler, R. (2014). *Jean Piaget*. London : Bloomsbury Academic. الطبعة الأولى Continuum، 2008.
- Miller, P. H. (2016). *Theories of Developmental Psychology* (6th ed.). New York : Worth.
- Papalia, D. E. & Martorell, G. (2018). *Psychologie du développement de l'enfant* (9e éd., adaptation A. Bève, N. Laquerre & G. Scavone). Montréal : TC Média.
- Ricaud-Droisy, H., Oubrayrie-Roussel, N. & Safont-Mottay, C. (2019). *Manuel visuel de psychologie du développement* (3e éd.). Malakoff : Dunod.
- Shaffer, D. R. & Kipp, K. (2010). *Developmental Psychology: Childhood and Adolescence* (8th ed.). Belmont, CA : Wadsworth.
- Siegel, D. J. (2012). *The Developing Mind* (2nd ed.). New York : Guilford.

المراجع العربية

- إسماعيل، محمد عماد الدين (1986). *الأطفال مرآة المجتمع: النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية*. سلسلة عالم المعرفة 99. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- قنطار، فايز (1992). *الأمومة: نمو العلاقة بين الطفل والأم*. سلسلة عالم المعرفة 166. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ما نُقل عن وسيط

- Wallon (1927، عرض لكتاب بياجيه) و(1942، *De l'acte à la pensée*) Wallon: عن Kohler (2014). وMeltzoff و(1977) Moore: عن (2012) Jalley.
- (1959، 1968) Erikson: عن (2016) Miller و(2000) Kazdin. و(1960) White: عن Crain (2014).
- (1966، 1967) Marcia، و(1979) Meilman، وArseth وزملاؤه (2009)، وLuyckx وزملاؤه (2008): عن Ricaud وزميلتيها، وShaffer وKipp، وMiller.
- Main و(1986) Solomon في النمط غير المنظم، و(1984) Kagan في المزاج: عن Shaffer وKipp، وWaters وزميليه.
- مقابلة تعلق الراشد (Main وGeorge وKaplan): عن (2012) Siegel. وMahler وPine و(1975) Bergman: عن (2014) Crain.
- Spitz، وSchaffer وEmerson، وTizard وHodges، وHeinicke وWestheimer، وConnell، وRobertson: عن بولبي نفسه. و(1977) Bronfenbrenner: عن (2016) Miller. وDozier و(2008) Rutter: عن (2014) Crain.

ما غاب عن المكتبة

هذه نصوص أصلية أو مراجع لم نجدها في المكتبة، فلم نعرض منها إلا ما نقلته المراجع المذكورة، وقلنا ذلك في موضعه:

- **فالون:** (1934) *Les origines du caractère chez l'enfant*، و *De l'acte à la pensée* (1942)، ومقاله في «دور الآخر في وعي الأنا» (1946). **ولا نص عربي لفالون ولا كتاب عربي يعرضه بتوسع في المكتبة**، فعرضه كله من مراجع فرنسية، ومقابلات مصطلحاته من اختيارنا.
- **مفهوم المرحلة بعد فالون (كتاب مقترح للإضافة):** Tran-Thong، *Stades et concept de stade de développement de l'enfant dans la psychologie contemporaine* (Vrin، 1971)، يذكره Jalley. وفيه على الأرجح جواب سؤال الامتحان «استبدلت المدارس اللاحقة مفهوم المرحلة بمفهوم...» (المحور 3).
- **إريكسون:** (1959) *Identity and the Life Cycle*، و(1964) *Insight and Responsibility* وفيه الفضائل مفصلة، و(1968) *Identity: Youth and Crisis*.
- **الهوية:** «Development and validation of ego-identity status»، (1966) Marcia. فحالات الهوية الأربع معروضة من مصادر ثانوية فقط.
- **بولبي:** المجلد 3 من الثلاثية، (1980) *Loss: Sadness and Depression*، فلم يُعرض الحداد عند الراشد؛ وتقرير (1951) *Maternal Care and Mental Health*؛ و«أربعة وأربعون لصا صغيرا» (1944).
- **أينسورث:** (1967) *Infancy in Uganda*.
- **النمط غير المنظم وتعلق الراشد:** Main و(1986) Solomon، وHazan و(1987) Shaver، ومقابلة George وKaplan وMain.
- **Spitz:** *De la naissance à la parole* (*La première année de la vie*)، فموقفه معروض من نقد بولبي له.
- **Rutter:** *Maternal Deprivation Reassessed*.
- **Mahler وPine و(1975) Bergman**، فإطار ماهلر كله من Crain.
- **كتب عيادية متخصصة في اضطرابات التعلق** (مثل Cassidy وShaver، *Handbook of Attachment*)، ولا دراسة للموقف الغريب على أطفال جزائريين أو مغاربيين.

روابط للتعمق

صفحات الأعلام في بوابة الصحة النفسية:

- هنري فالون: حياته ونظريته في نمو الطفل وأهم مفاهيمه: https://psyencharge.com/alam/هنري-فالون/
- إريك إريكسون: حياته ونظريته في النمو النفسي الاجتماعي وأهم مفاهيمه: https://psyencharge.com/alam/إريك-إريكسون/
- جون بولبي: حياته ونظرية التعلق وأهم مفاهيمه: https://psyencharge.com/alam/جون-بولبي/
- جان بياجيه: https://psyencharge.com/alam/جان-بياجيه/
- ليف فيجوتسكي: https://psyencharge.com/alam/ليف-فيجوتسكي/

مقالات الموقع:

- نظرية النمو لهنري فالون: التفسير الجدلي للنمو: https://psyencharge.com/نظرية-النمو-لهنري-فالون/
- نظرية فالون في النمو العاطفي: https://psyencharge.com/نظرية-فالون-في-النمو-العاطفي/
- نظرية إريكسون في النمو النفسي الاجتماعي: المراحل الثماني: https://psyencharge.com/نظرية-النمو-النفسي-الاجتماعي/
- نظرية التعلق: https://psyencharge.com/نظرية-التعلق/
- نظريات النمو في علم النفس: جدول مقارن: https://psyencharge.com/نظريات-النمو/
- النمو العاطفي والمعرفي للطفل: https://psyencharge.com/النمو-العاطفي-والمعرفي-للطفل/
- تاريخ علم النفس النمو: https://psyencharge.com/تاريخ-علم-النفس-النمو/
- مراحل النمو عند فرويد: الفكرة والنقد: https://psyencharge.com/مراحل-النمو-عند-فرويد/
- الأخصائي النفسي المدرسي: https://psyencharge.com/الأخصائي-النفسي-المدرسي/

- خبرات الطفولة السلبية: ما الذي كشفته دراسة ACE: https://psyencharge.com/خبرات-الطفولة-السلبية/
- ملخص كتاب Hold Me Tight: https://psyencharge.com/book-summaries/ملخص-كتاب-hold-me-tight/
- للراشد، وليستا من نظرية التعلق الأصلية: الاعتمادية العاطفية https://psyencharge.com/الاعتمادية-العاطفية/ والرابطة الصدمية https://psyencharge.com/الرابطة-الصدمية/

من سندات البوابة:

- نظريات النمو المعرفي عند بياجيه وبرونر وفيجوتسكي (السند 1): https://psyencharge.com/sanadat/نظريات-النمو-المعرفي-pdf/
- التحليل النفسي (السند 4): https://psyencharge.com/sanadat/التحليل-النفسي-pdf/
- كل السندات: https://psyencharge.com/sanadat/